

كتاب
تأسيس التقديس

في كشف تلييس داود بن سليمان بن جرجيس
للشيخ العالم العلامة الحبر الفهامة عبد الله بن
عبد الرحمن ابا ابطين نصر الله به الوحيين
وجعله ممن يؤتى أجره مرتين آمين
وصلى الله على عبده ورسوله
محمد وآله وصحبه
أجمعين

طبع باذن الشيخ عبد الله بن حسن
(خطيب الحرم المكي)

طبع في المطبعة دار احياء التراث العربي

اصحابنا عيسى بن ابي بكر وشركاه

بمؤازرة المحيدين بغير

رمضان سنة ١٣٤٤ هجرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وتوب اليه ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي
له (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (وأشهد) أن محمدا
عبيده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما (أما بعد) فإنه قد
قدم علينا في اثناء عشرين سنة رجل اسمه داود بن سليمان
البغدادي ومعه شيء من كتب المذهب وجلس عندنا مدة وطلب مني
إجازة في الفتيا في المذهب وكتبت له وبعد ذلك بنحو أربع سنين قدم
حاجا وذكر لي أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي الدين
يشبه بها على ناس يضع كلام الشيخ على غير موضعه فأحضرنه وباحثته
فاذا حقيقة أمر دعواه استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية ويزعم
أن دعاء الاموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك ويقول ان
الطلب من الاموات والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء ويقول الشرك هو
السجود لغير الله فقط وسألته عن معنى لا إله إلا الله وما معنى الإله فارتبك
وتحير (فقلت) أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه
لا يغفره (فقال) هو السجود لغير الله فقلت نهى الله عن السجود لغير

الله لكن ما دليلك على أنه شرك فلم يكن عنده جواب فلما أوردت بعض
 الأدلة على بطلان دعواه ودحضت حجته أظهر الموافقة فعمدا لقطع الكلام
 لا للموافقة باطنا فيما أظن وكتبت على ورقته التي معه نحو ثلاثين ورقة سماها
 بعض الطلبة الانتصار (وبعد) ذلك طلب مني بعض الاخوان بيان معنى
 بعض آيات في البردة وتشطيرها للرجل المذكور فكتبت عليها قدر ورقتين
 فاشماز بعض المخالفين لزيع في قلبه واعترض على ما كتبت بكتب ورقة
 متضمنة شركا عظيما فكتبت على كلامه قدر ثلاثة كراريس وهم قد رفعوا
 جوابي الاول والثاني الى كبيرهم داود المذكور مستصرين به فقام وقعد
 وجد واجتهد في البحث عن الاوراق التي اعترض فيها أعداء الشيخ محمد
 ابن عبد الوهاب رحة الله عليه فيما دعا اليه من التوحيد فحصل فيما بلغني
 جملة منها فاستمد منها وزاد من عنده فضاخ وضعها في تسويده هذا الذي
 عثرنا عليه فيه ترويح على الجهال فرأيت أنه يتعين على مثلي بيان تلبسه
 وتعميجه لعل الله أن يحشرنا في زمرة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف
 الغالين واستحال المبطلين وتأويل الجاهلين (ذكر المعترض) في أول
 تسويده بأنا نكفر من كانت البردة عنده ومن قرأها ومن سمعها وانا
 نبيح قتله وهذا من أول كذبه وافتراءه وزعم ان ما كتبناه متضمن لتنقيص
 الرسول ﷺ وسلفه في ذلك عباد المسيح لما نهى النبي ﷺ عن عبادته
 قالوا تنقص المسيح عليه السلام ونحن انما نهينا عن الغلو فيه ﷺ الذي
 حذر منه بقوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم وقوله ما أحب أن
 ترفعوني فوق منزلتي التي أنزاني الله وقوله لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد
 وقوله لا الذي قال ما شاء الله وشئت أ جعلتني لله ندا (وأما) ما ذكره هذا
 من مدحه نفسه وتركيتها بدعوى العلم وذمه الخالب وتجهيله فالعاقل ما يغتر

بذلك بل يقوم لله وينظر لنفسه ويتأمل ما يورد من الحجج ولا يقلد فان
 التقليد لما يجوز في هذا الاصل العظيم (قال) وقد روى هذه القصيدة مع
 الهمزية جماعة من العلماء وشرحها بعضهم ولم يفهموا منها محذورا (فنقول)
 كما قال الأئمة الاعلام كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ
 وأيضا لا يلزم أن كل من روى كتابا أو قصيدة أن يكون مستصوبا لكل
 ما روى * وذكر من روى البردة أبو حيان والبيضاوي والحلي وابن حجر
 العسقلاني وكذا القسطلاني فيقال له تفسير الثلاثة للقرآن موجود وكذا
 شرح البخاري هل تجد في شيء منها ما يمكن تشبيهك به على الناس بما
 يوافق دعواك الباطلة من أن علم اللوح والقلم من علوم النبي ﷺ وأنه
 لا يخفى عليه شيء من دواء القلوب كما في بيت الهمزية من قوله وليس يخفى
 عليك في القلب داء وان الدنيا والآخرة من جوده ﷺ وأنه يطلب منه
 اليوم الانقاذ من عذاب الله والالام وان ماجاز طلبه منه في حياته جاز طلبه
 منه بعد موته وان الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بطاب حاجاتهم من
 الاموات والغائبين وغير ذلك من دعاويكم الباطلة ولن تجد في كتب
 المذكورين وغيرهم من العلماء المحققين الا ما يبطل حجتك بل يوجد في كلام
 كثير من ليس من أهل العلم المعروفين به شيء كثير تصديقا لقول النبي
 ﷺ لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر
 صب لدخلتموه (قال) المعارض وعصر النظم متقدم على عصر ابن تيمية
 ولم ينقل عن ابن تيمية الانكار عليه (قلنا) ان كان نظامه هذا قد بلغ
 الشيخ فهو ممن عني بقوله والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم بعد موته
 موجودة في كلام بعض الناس مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان
 وأمثالهما قال وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على
 عادة من يستغيث بشيخه عند الشدائد ويدعوه وقد يكون البوصيرى

وغيره ممن أراد بقوله وأمانها وقد صنف شيخ الاسلام رحمه الله كتابا
 في الرد على من جاوز الاستغانة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقرر ان ذلك
 من الشرك قال رحمه الله وقد طاف هذا بجوابه يعني الذي أجاز فيه
 الاستغانة به صلى الله عليه وسلم على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فا وافقوه وطلب
 منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فا خالفوه مع ان قوما كان لهم
 غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما واستعانوا بمن له
 غرض من ذوي السلطان مع فرط عضبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم
 ومكايده شيطانهم انتهى فهؤلاء علماء مصر في ذلك الزمان لم يخالفوا
 ما كتبته الشيخ فعدم مخالفتهم دليل الموافقة لاسيما وحال أكثر أهل ذلك
 الزمان مع الشيخ ومخالفتهم له في أشياء غير ذلك معلومة فلورأوا
 لمخالفته في هذه المسألة مسانعا لبادروا وأظهروا ذلك (قال البغدادي)
 معترضا على ما كتبناه على قول الناظم فان من جودك الدنيا وضربتها
 قال ومن قال لك ان الدنيا والآخرة لغير الله أفلا يجوز ان الله يعطي
 الدنيا لاحد وهو يوجد بها أو منها أو ليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده
 فا هذا الاعتراض الفاسد قال وقد ورد ان الدنيا والآخرة خلفتا لاجله
 وورد في البخاري انه أكرم من الريح المرسلة فاذا يضره لو كرم بما
 لربه وهو حبيب الا عظم انتهى فنقول هل يشك أحد في جوده صلى الله عليه وسلم
 فهو أجود الناس وأجود من الريح المرسلة صلوات الله وسلامه عليه
 والمعترض حرف قول الصحابي وهو ابن عباس في قوله رضى الله عنه
 فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة
 فخره المعترض وقال انه أكرم من الريح المرسلة (وقوله) أفلا يجوز ان
 الله يعطي الدنيا لاحد وهو يوجد بها أو منها يعني انه يجوز ان الله يعطي
 الدنيا كلها لانسان وذلك الانسان يعطي من يشاء ويمنع من يشاء وهذا

لا يليق به سبحانه ان يجعل رزق العباد عند غيره بحيث يصير ذلك الغير هو مقصودهم الذي يرغبون اليه ويسألونه قضاء حوائجهم (ومقتضى) قول الناظم فان من جودك الدنيا وضرتها انه ﷺ هو الذي جاد بهما لان الله اعطاه ذلك ليجود به على عباده بل مقتضى كلامه وان لم يرد ان النبي هو الذي جاد على أهل الدنيا باعطائهم ما يحبون ويجود على أهل الجنة بها (وقوله) أو ليس كل الوجود له وقد ملكه لعباده (فهذا) كلام باطل لان الوجود يتناول كل موجود من ذلك الجنة والنار والسماء والارض والعرش والكرسى والحجب وغير ذلك من العالم العلوى والسفلى مما لا يعاينه الا الله ولم يملكه لاحد من عباده بل لم يملك عباده من الوجود الا النزر القليل (قوله) وقد ورد ان الدنيا والآخرة خلقتا لاجله ﷺ (فهذا) حديث لا يصح والله سبحانه قد أعلمنا بالحكمة في خلق هذه المخلوقات كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملا وقال الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما وقال جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شىء عليم فاخبر سبحانه بالحكمة فى خلق هذه الاشياء وانه انما خلقها للحكم التى ذكرها لا لاجل أحد من عباده مع ان هذا الحديث لو صح لم يكن فيه حجة ولا شبهة يستأنس بها لما ادعاه مع انه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على ربه وأقربهم اليه وسيلة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين لكنه نهى

عن الغلو فيه فقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم وقال انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله (وقول المعترض) فاذا يضره لو كرم بما لربه (مقتضى) هذه العبارة أن يتصرف في خزائن الرب سبحانه لان التصرف والتكرم بما في يده ليس مختصا به صلى الله عليه وسلم لان كل أحد يتصرف فيما أعطاه الله وملكه والنبي صلى الله عليه وسلم انما يتصرف بما في يده يضعه حيث أمره ربه قال صلى الله عليه وسلم اني لا أعطى أحدا ولا أمنع أحدا وانما أنا قاسم أضع كما (١) أمرت وقال في حكم الزكاة ان الله لم يرض فيها بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء (وقول) الناظم ان من جودك الدنيا وضرتها أى من عطائك وانعامك وافضالك الدنيا والآخرة (وهذا) كلام لا يحتمل تأويله بغير ذلك ووازن بين قول الناظم من جودك الدنيا وضرتها وبين قوله تعالى قل اني لأملك لكم ضرا ولا رشدا قل لأقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب الآية قال ابن كثير قل لأقول لكم عندى خزائن الله أى خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون ولا أعلم الغيب فأخبركم بما غاب مما مضى وما سيكون ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه آدمى ويشاهد ما لا يشاهده آدمى وقال تعالى قل لأملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون قال ابن كثير أمر الله نبيه أن يخبر بتقويض الامور اليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل الا ما اطلعه الله عليه كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من

اراضي من رسول فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه قال والاحسن في قوله
 ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ما رواد الضحاك عن ابن عباس
 لاستكثرت من الخير أي من المال وفي رواية لعلمت اذا اشتريت رخيصة
 ما أرحم فيه فلا أبيع شيئا الا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر وقال ابن جرير
 رحمه الله تعالى وقال آخرون معنى ذلك ولو كنت أعلم الغيب لاعدت
 للسنة المجدة من السنة المحضبة ولوقت الغلاء من الرخص وقال ابن زيد
 رحمه الله وما مسني السوء لاجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون
 وانقيته وقال تعالى ليس لك من الامر شيء (قال المعترض) على ما كتبناه
 على قول الناظم ومن علومك علم اللوح والقلم (فقال) قد قال الشراح
 المراد باللوح ما يكتب فيه الناس والقلم ما يكتبون به قال ويحتمل أن
 يكون المراد باللوح اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا الاعتراض الذي قاله
 هذا الرجل لان مراده علم اللوح غير الفوائح الخمس قال على ان قوله
 علم اللوح الاضافة فيه جنسية أي بعض علم ما في اللوح والجنس يصدق على
 بعض الافراد الى أن قال بل ولولم تقل هذا لم يلزم هذا الاعتراض لان
 فوائح الغيب الخمس لا يلزم انها في اللوح المحفوظ بل هي في أم الكتاب
 وهي غير اللوح الى أن قال فتبين من هذا ان أم الكتاب غير اللوح
 المحفوظ بل هي أصل اللوح انتهى (قوله) ان الشراح قالوا المراد باللوح
 ما يكتب فيه الناس والقلم ما يكتبون به فيقال هذا بعيد من مراد الناظم
 ومن مقتضى لفظه لان أل في اللوح والقلم للعهد الذهني لا يقع في ذهن
 السامع غير اللوح المحفوظ والقلم الذي جرى بالقادير وكونه بعيدا من مراد
 الناظم في هذه الحال لانه بالغ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم واطرائه
 فلما وصفه بكون الدنيا والآخرة من جوده فتعدى في وصفه بالوجود
 ناسب أن يصفه بسعة العلم ولو أراد أقلام الناس لم يخص الألواح

بل يأتي بلفظ يعم ما يكتبون فيه من لوح وقرطاس وغيره وأيضا
 فالتاس يكتبون بأفلامهم الحق والباطل ويكتبون الكفر والسحر والشعر
 وجميع العلوم الباطلة مما ينزه الرسول ﷺ من اضافته اليه ويكتبون
 بعد موته صلى الله عليه وسلم الرسائل والمداينات وغير ذلك مما يقع في غد
 وذلك من الخس التي لا يعلمها الا الله وقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله
 عنها من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس
 ماذا تكسب غدا (وقوله) ويحتمل ان المراد اللوح المحفوظ ولا يلزم
 على هذا اعتراض المعارض لان المراد علم اللوح غير الفوائح الى قوله
 وهذه الفوائح لا يلزم انها في اللوح المحفوظ بل هي في أم الكتاب وهي
 غير اللوح الى قوله فتبين بهذا ان أم الكتاب غير اللوح بل هي أصل
 اللوح لم يذكر ما يبين ذلك وإنما هو مجرد دعوى كاذبة وذكر ما ذكره
 البغوي عن عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان سوى أم الكتاب
 وهذا حجة عليه لانه ذكر كتابين غير أم الكتاب بل كلامه يدل على
 ان اللوح الذي ذكر صفته هو أم الكتاب لانه لما ذكره قرا وعنده أم
 الكتاب الظاهر ان هذا اشارة الى ان هذا اللوح الذي وصفه هو أم
 الكتاب لم يقل ان اللوح المحفوظ غير أم الكتاب وما ذكره عن عطاء
 عن ابن عباس لم يقل فيه ان اللوح المحفوظ غير أم الكتاب والمعارض
 يرى البغوي قد جزم عند قوله سبحانه وعنده أم الكتاب بان أم الكتاب
 هي غير اللوح المحفوظ وقال البغوي أيضا في قوله سبحانه بل هو قرآن
 مجيد في لوح محفوظ قال هو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب
 ومنه نسخ الكتب محفوظة من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقال
 أيضا في قوله سبحانه وتعالى وانه يعني القرآن في أم الكتاب في اللوح
 المحفوظ قال قتادة رحمه الله تعالى أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء

أصله قوله لدينا أى القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وقال البغوى أيضا فى قوله سبحانه وكل شىء أحصيناه فى امام مبين هو اللوح المحفوظ وقال الواحدى وانه فى أم الكتاب أى فى اللوح المحفوظ قال الزجاج أم الكتاب أصل الكتاب وأصل كل شىء أمه قال والقرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وقال الواحدى على قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ عند الله وهو أم الكتاب منه نسخ القرآن والكتب وهو الذى يعرف باللوح المحفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقال ابن كثير رحمه الله وانه أى القرآن فى أم الكتاب أى اللوح المحفوظ قاله ابن عباس ومجاهد لدينا لعلى حكيم وقال فى قوله سبحانه وكل شىء أحصيناه فى امام مبين أى وجميع الكائنات مكتوب مسطور فى لوح محفوظ والامام المبين هنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم انتهى وقال البيضاوى وعنده أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذنا من كائن الا وهو مكتوب فيه وقال فى قوله سبحانه وانه فى أم الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه أصل لكل الكتب السماوية لدينا لعلى حكيم وقال النسفى أم الكتاب أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه انتهى والمراد بذكرنا كلام المفسرين ربحهم الله تعالى وبيان اجماعهم على ان اللوح المحفوظ هو أم الكتاب وهو نص حديث عمران بن حصين الآتى قال وكتب فى اللوح المحفوظ كل شىء تبين كذب هذا وجرامته فى جزمه بان أم الكتاب غير اللوح المحفوظ مع ان هذا لا يشفعه لو سلم له لان السكل جرى به القلم فدخل فى قول الناظم ومن علومك علم اللوح والقلم وقوله ان الاضافة فى قوله علم اللوح والقلم جنسية أى بعض علم مافى اللوح والجنس يصدق على بعض افراده

فيقال علم بعض ما في اللوح لا يختص به ﷺ بل يشاركه في ذلك غيره
من الانبياء وغيرهم من آحاد الناس من كل من علم شيئا مما جرى به القلم
مع انه لا يصح حل كلام الناظم على ذلك ولا يحتمله لانه قال ومن علومك
علم اللوح والقلم فن في كلام الناظم للتبويض فقتضى اللفظ أن علم اللوح
والقلم بعض علومك وزعم بعض المنازعين ان من في قول الناظم من
جودك ومن علومك الخ انها لبيان الجنس ويغنا غلطه في جوابنا السابق
ولو سلم انها لبيان الجنس مع انها لا تصلح لذلك فالمعنى على ذلك ان
علومك هي عين علم اللوح والقلم لا تقصر عنها لان هذا هو معنى من
البيان وكلام الناظم خطأ على كلا التقديرين وما يبين أن مراد الناظم
احاطة النبي ﷺ بعلم الغيب قوله في الحمزية في حق النبي ﷺ وليس
يخفى عليك في القلب داء فوصفه ﷺ بالعلم بجميع أدواء القلوب وعالها
لان قوله داء زكرة في سياق النفي فتعم جميع ما احتوت عليه القلوب وهذا
ما اختص به الرب سبحانه قال تعالى يعلم السر وأخفى وقال واعلموا ان
الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وقال يعلم مانسرون وما تعلنون والله عليم
بذات الصدور والآيات في هذا كثيرة معلومة وقد قال سبحانه وتعالى في آخر
ما نزل من القرآن وعن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة
خردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم وقال وآخرون من دونهم لاتعلمونهم
الله يعلمهم وقال النبي ﷺ انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون
ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع قال القاضي عياض
في الشفا على هذا الحديث وتجري أحكامه عليه السلام على الظاهر ولو
شاء الله لاطلعه على سرائر عبادته ومخبات ضمائر أمته الى أن قال وكان
ذلك من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا
الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا

في نبوته ولا يفهم عروة من عصمته ونخفي عليه عليه السلام حال أهل الافك
 حتى جاءه الخبر من الله وينخفي عليه عليه السلام أمور كثيرة بطول عدتها حتى
 يأتيه الوحي بنجرها وقال عليه السلام انه سيحيا برجال من أمتي يوم القيامة
 فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أمتي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك
 ثم (قال) المعارض وهو أي الناظم اثبت للنبي عليه السلام علم اللوح والقلم ومزاده
 بتعليم الله له ثم قال بعد ذلك ما المانع أن يكون من علوم النبي عليه السلام علم اللوح
 والقلم (فالعجب) من تناقض هذا المبطل ادعى أولا ان المراد باللوحة والقلم
 ألواح الناس وأقلامهم ثم ادعى أن الاضافة جنسية ثم اعترف بأن الناظم
 اثبت للنبي عليه السلام علم اللوح والقلم ثم قال فما المانع أن يكون من علوم النبي
عليه السلام علم اللوح والقلم قال وهذا الذي قررناه بناء على ان الله تعالى يطلع
 نبينا وغيره على الخس قال فهناك نقول من اطلعنا على كلامه وذكر أشياء
 ليس فيها ما يستأنس له به فضلا عن أن يكون حجة وانما أكثر من
 النقول للتمويه والترويع على الجهال ومنها ما هو حجة عليه كنفه عن
 شرح المشكاة لعلي الفارسي على قوله عليه السلام مفايح الغيب خمس أي لا يعلم
 تفصيله الا هو ولا يعلم مجمله بحسب خرق العادة الا من قبله وقال في شرح
 قوله في خمس لا يعلمهن الا الله فان قلت قد أخبر الانبياء بكثير من ذلك
 فكيف الحصر قلت الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها قال تعالى عالم
 الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول انتهى وهذا
 حجة عليه لا تنا لا تنكر ان الله يطلع الانبياء على أشياء من الغيب معجزة
 لهم ويكشف لبعض أتباعهم شيئا من ذلك كرامة لهم وانما تنكر القول
 بأن محمدا عليه السلام يعلم جميع ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ ومن ذلك
 مفايح الغيب الخمس وانه صلى الله عليه وسلم يعلم جميع ما احتوت عليه القلوب
 بقوله وليس يخفى عليك في القلب داء واستدل المعارض بقوله سبحانه

وتعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
 وبقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من
 يشاء وليس في ذلك له حجة بل هي حجة عليه ومعنى الآيتين عند جميع
 المفسرين أن الله سبحانه يطلع رسله على ما يشاء من الغيب آية لهم ومعجزة
 وأنبياءهم عليهم السلام من ذلك ما لا يحصى ولا يشك فيه مسلم واحتج المعارض بما
 عن المدابغي فقال قال العلامة المدابغي في حاشيته على شرح الأربعين
 لابن حجر والحق كما قال جمع أن الله لم يقبض تبينا عليه الصلاة والسلام
 حتى أطلعهم على كل ما أبهمه عنه إلا أنه أمر بكنم بعض وأعلام بعض
 انتهى قلت قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض
 خلال أهل زمانه أنه ادعى ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه دعوة عظيمة تعارض
 نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة وتخالف ما عليه الصحابة
 والتابعون والعلماء بعدهم يحتاج مدعيها إلى دليل واضح ولن يجد إلى ذلك
 سبيلا ولا شبهة معه وإنما هو مجرد دعوى كاذبة جمع مدعيها بين نصوص
 الكتاب والسنة واجمع العلماء وبين افتراء الكذب على الله ومن أظلم
 ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم
 الظالمين قال الممونه وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصارع القتلى يوم بدر وكل
 منهم صرع في ذلك المكان فقد علم أن هذه الانفس بأى أرض تموت
 وهي من الجنس وأخبر عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة فوقع كما أخبر
 وهذا مما لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا انتهى فانظر أولا إلى هذه العبارات
 الركيكة وقوله وأخبر عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة فوقع كما أخبر
 فتضى هذه العبارة أن جميع ما أخبر بوقوعه بعده إلى فناء الدنيا قد وقع
 وليس كذلك وإنما وقع منه ما وقع إلى زمان هذا الرجل وأخبر عن وقوع
 أشياء لم تقع بعد وهي واقعة بلا شك والمراد أن هذا الرجل يأتي بعبارات

فاسدة ويقال ثانيا هل ينكر ذلك مسلم وهذا ونحوه مما أخبر به من الغيب
 الذى استناده سبحانه فى قوله الا من ارتضى من رسول فانه يطلعه على
 ما يشاء من غيبه واستدل بقول المسيح عليه السلام وأنتم بما أنا كلون
 وما تدحرون فى بيوتكم فنقول وهذا من معجزات المسيح عليه السلام
 وأورد ماروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان الملك الموكل بالرحم يقول
 أى رب مخلقة أو غير مخلقة فان كانت مخلقة قال ذكر أو أنثى شقى أم
 سعيد ما الاجل ما الاثر بأى أرض تموت فيقال اذهب الى الكتاب فانك
 ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فهذا يدل على أن الله يطلع بعض خلقه
 على شئ من الخس وهو الملك قال والنبي ﷺ أولى لانه منصوص عليه
 فى قوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فقوله انه
 منصوص عليه الذى يظهر من كلامه انه منصوص عليه بانه يعلم ما فى الارحام
 وهذا كذب منه وانما النص فى أنه سبحانه يطلعه على ما يشاء من غيبه
 ومن ذلك اطلاعه سبحانه رسوله على ما يشاء اطلاعه عليه مما فى الارحام
 ان كان قد وجد من ذلك شئ لأنه يعلم جميع ما فى الارحام وجميع ما أورده
 المتبرض فى هذا المحل من خبر المسيح وأثر ابن مسعود وأمر قتلى بدر وغير
 ذلك مما يعلم هو انه لا حجة له فيه وانما لا تنكره وانما أراد التجريم على
 الجهال وتكثير السواد فى القرطاس وجاء فى الحديث عنه ﷺ قال
 فى الساعة لا يجيئها لوقتها الا الله وكذلك ازال الغيث لا يملكه الا الله لكن
 اذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك وما شاء من خلقه وكذلك لا يعلم
 ما فى الارحام مما يريد أن يخفيه تعالى سواه لكن اذا أمر بكونه ذكرا أو
 أنثى أو سعيدا أو شقيا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه
 وكذلك لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا فى دنياها وأخرها وما تدرى نفس
 بأى أرض تموت قال المعترض وقد أخذ جمع من العلماء أن قول النبي

جبريل عليه السلام لما استول عنها باعلم من السائل ان المعنى أنا وأنت في العلم
 بها سواء فكما تعلمها أنت أعلمها أنا (فالعجب) من هذا التحريف
 لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي شابه فيه اليهود الذين يحرفون الكلام
 عن مواضعه مع معارضته لنص الحديث نفسه حديث جبريل من رواية
 أبي هريرة في الصحيحين لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة قال ما المسؤول
 عنها باعلم من السائل وسأحدثك عن أشراتها إذا ولدت الامة ربتها فذلك
 من أشراتها وإذا رأيت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من أشراتها
 وإذا تطاول رعاء البهيم في البنيان فذلك من أشراتها في خمس لا يعلمهن
 الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
 ويعلم ما في الارحام الآية وقوله في خمس لا يعلمهن الا الله أى هي من الخمس
 المذكورة في الآية التي اختص الله بعلمها ولا أظن هذا التأويل يصدر ممن
 عنده علم لان نص الحديث يكذبه واحتجاج المعترض بما حكاه في تأويل هذا
 الحديث وبما نقله عن المدابغى صريح في انه يقول بذلك وهذا كفر صريح
 لمعارضته نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة واستشهد هذا على دعواه
 بما نقله عن علي القارىء في شرح المشكاة انه قال ما التوفيق بين قوله تعالى
 ان الله عنده علم الساعة وبين ما اشتهر عن العرفاء من الاخبار الغيبية كما
 قال الشيخ الكبير أبو عبد الله في معتقده انه قال ونعتقد ان العبد يتنقل
 في الاحوال حتى يصير الى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الارض
 ويمشي على الماء ويغيب عن الابصار فالجواب ان للغيب مبادئ ولواحق
 فبإدب لا يطالع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل واما اللواحق فهو ما أظهره
 الله على بعض احبابه من لوحة علمه وخرج ذلك عن الغيب المطلق فصار
 غيبا اضافيا وذلك اذا تنور الروح القدسية وازداد نوريتها واشراقها
 والمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية حتى يقوى النور وينبسط

في فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرسمة في اللوح المحفوظ ويطلع على
 الغيبات ويتصرف في أجسام العالم السفلى انتهى مراده بالنقوش المرسمة
 في اللوح المحفوظ الكتابة التي جرى بها القلم في اللوح المحفوظ وأورد المعارض
 هذا الكلام بعد قوله وهذا الذي قررناه بناء على أن الله سبحانه يطلع
 نبينا وغيره من المقربين على الخس فاحتج بقول هذا الضال على دعواه
 الباطلة من أن الله يطلع نبينا وغيره على الخس فن ادعى انه اذا أراض
 نفسه يرى ما كتب في اللوح المحفوظ ويعلم الغيب فهو كافر فاذا ضم الى
 ذلك دعوى انه يحصل له من القدرة ما يتصرف به في العالم السفلى ازداد
 كفرا ثم قال المعارض ويحتمل ان هذه الخس لم تكتب في اللوح
 المحفوظ وانها في غامض علم الله وما استأثر الله به وقد قال قبل ذلك وهذه
 القوائم لا يلزم انها في اللوح المحفوظ بل هي في أم الكتاب وهي غير
 اللوح وهنا قال انها في غامض علم الله وكذب نفسه بذكره بعد ذلك
 الاثر المروى ان الملك الموكل بالرحم يقول أي رب مخلقة أو غير مخلقة الى
 أن قال فيقال اذهب الى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة
 فانظر الى تناقض هذا تارة يقول ان الناظم أراد بقوله اللوح والقلم الواح
 الناس وأقلامهم وتارة يعترف بأن الناظم أراد اللوح والقلم الذي جرى
 به المقادير ولكن هذه الخس لم تكتب فيه بل هي في غامض علم الله وتارة
 يقول هي في أم الكتاب يعني الخس وهي غير اللوح المحفوظ ويجزم
 بذلك وتارة يقول في أثناء كلامه وهذا بناء على ان الله يطلع نبينا وغيره
 على الخس ويحتج على ذلك بما نقله عن المدائني والقاري والشيخ الضال
 الذي يدعى ان الانسان قد يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم الغيب ويتصرف
 في العالم السفلى وقوله انها في غامض علم الله يعني الخس وانها لم تكتب
 في اللوح المحفوظ يكذب هذا القول نصوص الكتاب والسنة قال الله تعالى

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض أن ذلك في كتاب أن ذلك على
 الله يسير قال ابن كثير في الآية يخبر سبحانه وتعالى عن كمال علمه بخلقها
 فلا يعزب عنه مثقال ذرة وأنه سبحانه علم الكائنات كلها قبل وجودها
 وكتب ذلك في اللوح المحفوظ كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو
 قال قال رسول الله ﷺ إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق
 السموات والأرض خمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي السنن من
 حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال أول ما خلق الله القلم
 قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن فجري بما هو كائن
 إلى يوم القيامة وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال قال ابن
 عباس رضي الله عنهما خلق الله اللوح المحفوظ بمسيرة مائة عام وقال للقلم
 قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب قال وما أكتب
 قال علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة فجري القلم بما هو كائن في علم الله
 تعالى إلى يوم القيامة فذلك قوله تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض
 أن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير وجب المفسرين على أن المراد
 بالكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ وإن كل شيء من الكائنات مكتوب
 فيه وقال تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب
 من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير وفي الصحيحين عن عمران
 ابن حصان قال قال رسول الله ﷺ اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا
 فأعطنا قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا
 الأمر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب
 في اللوح المحفوظ كل شيء ثم خلق السموات والأرض فهذا الحديث شاهد
 للمفسرين في تفسيرهم الكتاب في الآيات باللوح المحفوظ وإن كل شيء مكتوب

فيه وانه أم الكتاب والمراد بيلان كذب هذا وبيان تناقضه وهو لا يشتر
بذلك بل هو خاطئ خطب عشواء وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها
الا الله لا يعلم أحد ما تغيض الاحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم
متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدري نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى
تقوم الساعة أحد الا الله وتقدم حديث أبي هريرة وقول النبي ﷺ
في خمس لا يعلمهن الا الله أفيظن مسلم أن أصحاب رسول الله ﷺ
يحدثون الامة بهذه الاحاديث المصروفة بتفرد الله سبحانه بعلم هذه الامور
المذكورة في هذه الاحاديث وان عندهم ما يخالف ذلك فيكتمونه فيحصل
التليس على الناس في هذا الباب فيلزم من ذلك اعتقاد الباطل حقا
والحق باطلا والصواب خطأ والخطا صوابا صاتهم الله عن ذلك ثم يظن
مسلم انه خفي على أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ما دعاه هؤلاء
الضلال وعلموه هم هذا من أبطل الباطل ويزيد ذلك وضوحا ما ثبت
في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت من زعم أن محمدا يخبر بما
في غد فقد أعظم الفرية على الله ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري من حدثكم أن محمدا يعلم ما في غد
فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا و مرادها رضي الله
عنها في ذلك عنه ﷺ في حال حياته وروى الامام احمد عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال أوتي نبيكم مفاتيح كل شيء غير خمس ثم قرأ ان الله
عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية وفيما ذكرنا من الكتاب والسنة وأقوال
الصحابة كفاية في بيان بطلان دعاوى هذا البغدادى ومن قبل عنه
كالسابقى والقارى وغيرهما كحرف قوله ﷺ ما المسؤول عنها بأعلم من

التسائل (وأورد المعترض) حديث المنام وقوله ﷺ رأيت ربّي في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملاّ الأعلى الى أن قال فتجلى لي كل شيء وعرفت وفي رواية فعلمت ما في السماء والأرض وفي رواية فعلمت ما بين المشرق والمغرب وليس في ذلك ما يدل على أنه ﷺ علم ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ ولا أنه علم مفاتيح الغيب قال غير واحد ممن شرح الحديث يحمل ذلك على أن الله سبحانه كشف له عن الأعيان الموجودة اذ ذاك وهذا هو الظاهر وهو صريح رواية فعلمت ما في السماء والأرض ورواية فعلمت ما بين المشرق والمغرب وما موصوله أي فعلمت الذي بين المشرق والمغرب أي الموجود بينهما يوضح ذلك لوقات دخلت دار فلان فعلمت ما فيها إنما يتناول علمك الموجود فيها من الأشياء حين دخولك لا ما يوجد فيها بعد ذلك والله أعلم ولما ذكر ابن كثير قول بعض المفسرين على قوله سبحانه وقمالي وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أنه فرجت له السموات فنظر الى ما فيهن حتى انتهى بصره الى العرش وفرجت الأرضون السبع فنظر الى ما فيهن قال فيحتمل هذا أنه كشف له عن بصره حتى رأى ذلك غيابة ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات الغاطية كما روى الامام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث المتام أنا في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملاّ الأعلى فذكر الحديث ثم تلا وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين انتهى وذكر المعترض حديث حذيفة أنه قال ان النبي ﷺ أحبرنا عن كل ما يقع الى يوم القيامة حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حتى انا لرى الطائر يقب جناحيه

فذكر منه علما هكذا أورد البغدادى جعل ذلك كله من قول حذيفة
 وحرف اللفظ والمعنى فأول هذه الجملة من كلام حذيفة وآخرها من قول
 أبى ذر لكنه غير الكلام فافسد اللفظ والمعنى فتميز قول حذيفة من
 قول أبى ذر رضى الله عنهما ليقين الناظر تحبط هذا الجاهل فى صحيح
 البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ مقاما
 فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من
 حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشيء
 فأعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم عرفه
 قال حذيفة ما أدرى انسى أصحابى أم تناسوا والله ما ترك رسول الله
 ﷺ من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا
 الاسماء لنا باسم أبيه وقبيلته هذا لفظ حذيفة وقال أبو ذر لقد تركنا رسول
 الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما انتهى
 فانظر الى تحبط هذا وتحريفه الفاحش يقول أبو ذر وما طائر يقلب
 جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما يعنى الا ذكر لنا النبى منه علما وهذا
 يقول انا لرى الطائر يقلب جناحيه فذكر منه علما أى نذكر نحن
 من الطير علما فغير كلام الصحابي وأبدله بكلام لامعنى له وقول أبى ذر
 وحذيفة يدل على انه ﷺ أخبرهم بأمر جزئيات من الغيب تحدث
 بعده اطلعه الله عليها وهل فى ذلك ما يدل على انه أخبرهم بوقت الساعة
 أو انه أخبرهم بما فى ارحام نسائهم ودوابهم أو انه أخبر كل واحد بأى
 أرض يموت أو بما يحدث له من الذرية ومتى يموت هذا مما يعلم قطعا انه
 لم يكن منه شيء وكذلك حديث المنام ليس فيه ما يستأنس به لهذا المبتطل
 وما ذكرنا من قول عائشة وابن مسعود كاف فى بطلان دعوى من قال

ان الله لم يقبض نبيه حتى اطلععه على جميع ما كتبه عنه وكذلك ما حدث به
 أصحاب رسول الله ﷺ عنه ﷺ مثل قوله مفتح الغيب خمس لا يعلمها
 الا الله وقوله عن الساعة في خمس لا يعلمهن الا الله يخبر الصحابة التابعين
 بذلك والتابعون يخبرون من بعدهم وأهل الحديث يروون هذه الاحاديث
 ويثبتونها في كتبهم ولا يذكرون ما يخالفها مما هو الحق في زعم هؤلاء
 الملحدين حتى يحجى هؤلاء المفترون على الله الكذب وعلى رسوله
 فيمينون للناس ما خفي على الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين هذا
 مما يقطع بطلانه كل عاقل وأبلغ من ذلك اخبار الله سبحانه في كتابه
 يتفرد به يعلم الغيب ونبيه عن غيره حتى عن نبيه محمد ﷺ والمفسرون
 من الصحابة ومن بعدهم يقررون ما دلت عليه الآيات ولم يذكر أحد منهم
 خلاف مدلولها وهذا ظاهر والله الحمد لكن لاجل ترويج الكذبة على الجهال
 يحتاج الى ايضاح ذلك (واعترض هذا على ما كتبه) على قول الناظم
 يا أكرم الخلق مالى من الودبه * سواك * الى قوله مع قول المشطر
 ان لم تكن في معادى أخنا يبدى * ومنقضى من عذاب الله والام
 أوشافعا لى مما قد جنبت غدا * فضلا والا فقل يا زلة التقدم
 قال هذا الاعتراض باطل من وجوه الاول ان هذا الرجل يزعم ان قول الناظم
 ان لم تكن في معادى أخنا يبدى وقول المشطر ومنقضى من عذاب الله
 والام أوشافعا لى الى آخره ان هذا الاتقاد بالفعل وانه غير الشفاعة وانه ان
 لم يحصل بالفعل فبالشفاعة وليس كما زعم لان الاتقاد والاخذ باليد هو أيضا
 بالشفاعة لان غير الشفاعة يكون استقلالا من دون الله ولا يتصور اعتقاد
 هذا من مسلم ولو كان بدويا جاهلا والمراد تنوع الشفاعة فالنوع الاول هو
 الاخذ باليد والاتقاد وقد ورد هذا في الاحاديث الصحيحة في الشفاعة

فأقول يارب أمي أمي فيقال انطلق انطلق فأخرج من في قلبه مثقال ذرة
من إيمان فانطلق فافعل فأقول يارب أمي أمي فيقال انطلق فأخرج
من في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فانطلق فأخرجهم
من النار إلى أن قال فما المانع من اطلاق هذا اللفظ وهل هذا الاخراج
الا الاقادة من العذاب النوع الثاني ان النبي ﷺ في المعاد وهو يوم
القيامة حتى كحاله في الدنيا هو وجيع الخلاق فلا مانع ذلك اليوم من
أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة لانه حتى حاضر قال وعند هذا الرجل
واشياعه ان الحى الحاضر له قدرة بنفسه قال ابن عبد الوهاب في كشف
الشبهات في جواب الحديث الصحيح ان الناس يوم القيامة يستغيثون
بآدم ثم بنوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم يعيسى حتى يتنوها إلى محمد ﷺ
وعليهم أجمعين فيقول أنا لها أنا لها قال فأجاب عن هذا بأن الاستغاثة
بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة كما قال تعالى في قصة موسى فاستغاثه الذي
من شعبته على الذي من عدوه وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب
وغيره في أشياء يقدر عليها المخلوق انتهى قال فإذا كان الحى الحاضر عند
هؤلاء ينسبون له الفعل لانه يقدر عليه وصاحب البردة يجبرانه ان لم يكن
النبي ﷺ في معادى وهو يوم القيامة أخذاً بيدي فضلاً والاقل يازلة
القسم والنبي وجيع الخلاق ذلك اليوم أحياه حاضرون لهم قدرة فيما
يقدرون عليه من الامور العادية الحسية ونسبة الأفعال إلى قاعلم وأسبابها
جائزة شرعا وعرفا فكيف ينكر انقاذ النبي ﷺ أمته من العذاب
أو يجعله ممتنعاً وأنه خلاف للشفاعة مع أن النبي حينئذ حاضر له قدرة فيما
يقدر عليه ذلك اليوم ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا كما
كان يرمى العدو وهم ألوف بكف من تراب فيعمهم ويروي الألوف
بالطاش وينجمهم بقليل من الماء والطعام وفي الحديث انكم تتوافيتون

في النار نهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم لئلا تقعوا فيها وأعظم من هذا
 ان الله نسب اخراج الكفار من النور الى الظلمات الى الطاغوت وهي
 الاصنام مع انها لا قدرة لها بوجه لكن لما كانت سببا للخارج نسب
 الخارج اليها وكذلك لما كان النبي ﷺ سببا لالتقاء من العذاب نسب
 الالتقاء اليه وفي دعاء الاستسقاء اللهم أغثنا غيثا مغيا قالوا معناه منقادا من
 الشدة مع ان الغيث جاد لا قدرة له لكن لما كان سببا لالتقاء والاعانة
 نسب الالتقاء اليه وقد اشتهر عند العامة أنبت الربيع البقل ومنع البقاء
 تغلب الشمس مع ان المنبت في الحقيقة هو الله والمانع للبقاء هو الله
 وقال فوكزه موسى ففضى عليه مع ان القضاء من الله وقال في حق نبيه
 ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم مع ان الواضع هو الله لكن لما
 كان سببا للفعل نسب الفعل اليه بل جميع الافعال تنسب الى فاعلها فيقال
 فلان أعطي وفلان منع وفلان نفعي وفلان ضربي ويلزم على قول هذا
 الا تنسب الافعال الى فاعلها ولا قائل به قل وورد نسبة الالتقاء من النار
 الى المعاني من الاعمال وقد ورد في حديث صحيح قال رأيت رجلا من
 أمي عذب في قبره فجاءته صلاته فألقته من العذاب والآخر ألقه حجه
 والآخر صليبه فاذا جاز نسبة الالتقاء من النار الى المعاني لكونها أسبابا
 فنسبتها الى الذوات من باب الاولى خصوصا أشرف الذوات من المخلوقين
 انتهى وجوابه أن يقال أولا توازن بين قول يأكرم الخلق مالي عن أولاد
 به سواك وبين قول الذي قال له النبي ﷺ اجعلني لله ندا حين قال
 له ما شاء الله وشئت فهذا لو قال مالي من أولاد به الا الله وأنت لكان أقبح
 من قول القائل ما شاء الله وشئت لان الله أثبت للعبد مشيئة بقوله لمن
 شاء منكم أن يستقيم فن شاء اتخذني ربه سييلا فصيفا اذا أفرد الرسول

باللياذ والالتجاء من عذاب ذلك اليوم الذي لا تكلم فيه نفس الا باذنه وقد
ذكرت في الجواب السابق الفرق بين قول هذا في تشطيره ومنقذى من
عذاب الله والالم وبين قوله اوشافعا الى لان المعترض الاول ادعى بحمله
ان عطف الشفاعة على الانقاذ عطف تفسير ومعنى الكامتين واحد وينا
بطلان قوله هذا وان قوله اوشافعا الى لا يصلح كونه عطف تفسير لانهم ذكر
أن عطف التفسير انما يكون بالواو خاصة وعمن ذكر ذلك ابن هشام وأما
العطف باو فهو نص في أن المعطوف غير المعطوف عليه مع ان العامى فضلا
عن العالم يفرق بين اللفظين فلو قصد انسان انسانا وقال قصدت لك حاجتى
كذا فلما أن تقضيها أو تشفع لى عند فلان في قضائها وكل أحد يعرف
الفرق بين العبارتين كما فرق القرآن بينهما في قول صاحب يس ءأخذ
من دونه آلهة ان يردن الرجن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون
فالانقاذ هو بالنصرة والمظاهرة والشفاعة بالجاه والمكانة قال ابن القيم بعد
كلام سبق على الآية ان العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت الحاجة
دائما واذا أرادنى الرجن الذى خلقنى بضر لم يكن لهذه الآلهة من القدرة
ما تنقذنى بها من ذلك الضر ولا من الجاه والمكانة ما تشفع لى اليه ولا
تخلصنى من ذلك الضر فبأى شىء تستحق العبادة انى اذا لى ضلال مبين
ان عبت من دون الله من هذا شأنه انتهى وقال البيضاوى ءأخذ من
دونه آلهة ان يردن الرجن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا أى لاتنفعنى
شفاعتهم ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة انى اذا لى ضلال مبين فان ايتار
من لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقدر على النفع والضرر
واشراكه به ضلال مبين لا يخفى على عاقل انتهى وقوله ان الانقاذ والاخذ
باليد هو أيضا بالشفاعة لان غير الشافع يكون استقلالاً من دون الله ولا

يتصور اعتقاد هذا من مسلم قلت ولا يتصور ذلك من أحد من مشركي
 العرب الذين بعث اليهم محمد ﷺ فانهم كلهم معترفون بأن آلهتهم لا تخلق
 ولا ترزق ولا تدبر شيئا من دون الله ونصوص القرآن كثيرة بذلك كما
 قال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار
 ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر
 فسيقولون الله فقل أفلا تتقون أى أفلا تتقون الشرك فى الالهية اذا
 أقررتم بالربوبية وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
 سيقولون لله قل أفلا نذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
 العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو
 يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون ولئن
 سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم واعترفوا
 أيضا بصفة العزة والعلم لله والآيات فى هذا كثيرة معاومة عند الجميع يحتاج
 بها سبحانه عليهم باقرارهم بتوحيد الربوبية على اشراكهم فى توحيد
 الالهية كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ابن
 عباس ومجاهد وغيرهما ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السموات والارض
 والجهال قالوا الله وهم يعبدون معه غيره ولهذا يقولون فى تلييتهم لبيك
 لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء فى الآية ايمانهم
 اخلاصهم الدعاء لله فى الشدائد وينسون فى الرخاء كما قال تعالى فاذا ركبوا
 فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الآية والآية نعم ذلك كله فهذه نصوص
 القرآن صريحة فى أن المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافاً جازماً
 غير مترددين ولا متوقفين بل يقررون بجملة من صفات الرب سبحانه وتعالى
 يشكرها كثير من المسلمين المنحرفين كاقرارهم بصفة العزة والعلم ويقررون

أيضا بعلوه فوق سمواته كما في حديث حصين بن المنذر لما قال له النبي
 ﷺ كم لها تعبد قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن
 الذي تعبد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء وكما في شعر أمية بن أبي
 الصلت وغيره وأخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا من آلهتهم إلا الشفاعة عند الله
 في أمور دنياهم وكذا من يعترف منهم بالآخرة فاذا طلبوا من آلهتهم حاجة
 من حوائجهم من رزق أو نصر على عدو ونحو ذلك لم يقولوا إن آلهتهم
 تحدث شيئا من مطلوبهم من دون الله وتستقل بذلك لم يقل هذا أحد
 منهم وإنما كانوا يقولون أننا إذا طلبنا حاجتنا من هذا الوجه عند الله حصل
 مطلوبنا لو حاجته عند الله ولهذا يخاصون الدعاء لله في الشدائد وينسبون
 الوسائط كما قال تعالى وتنسبون ما نصحكون إذا تبين هذا فاذا خوطب
 النبي ﷺ أو غيره من الأموات والغائبين بلفظ من ألفاظ الاستغاثة أو
 طلب منه حاجة يقول أغثنى أو أنقذني من كذا أو خذ يدي أو اقض
 حاجتي أو أنت حسبي أو اشكو إليك حاجتي ونحو ذلك يقضه واسطة
 بينه وبين الله في ذلك فهذا شرك العرب الذين بعث إليهم رسول الله
 ﷺ وقول المستغيث خذ يدي أو أنقذني من أبلغ ألفاظ الاستغاثة فلو
 اعتقد الداعي أن من دعاء وطلبه يقضى حاجته استغلا من دون الله
 كان هذا شركا في توحيد الربوبية والالهية قال شيخ الإسلام تقي الدين
 رحمه الله تعالى ومن رجة الله سبحانه أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره
 أن يفعل أو دعائه أن يدعو ونحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه ولا يورث
 حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقة فاما الأمور العظيمة كالزوال العيث
 عند القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك قال تعالى
 قل لئن أبينكم إن أناكم عذاب الله أو أتاكم الساعة أنغير الله تدعون لئن

مطلب

مطلب

كنتم صادقين بل آياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتفسون
 ما تشركون وقال واذا نسكتم انصرف في البحر ضيل من تدعون الا آياه وقال
 آمن بحبيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض
 ءاله مع الله وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون
 شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا فيكون هذه المطالب العظيمة
 لا يستجيب فيها الا هو سبحانه دل على توحيدده وقطع شبهة من أشرك
 به قال رحمه الله وجامع الامر أن الشرك نوعان شرك في ربوبية بأن
 يجعل لغيره معه تدبيرا ما كما قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون
 الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من
 شرك وما له منهم من ظهير فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ولا
 يشركون في شيء من ذلك ولا يعينونه على ملكه (١) فلم يكن مالكا ولا
 شريكا ولا عوناً فقد انقطعت علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره
 دعاء عبادة أو دعاء مسألة كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين فكما أن
 اثبات الخلوقات سببا لا يقدح في توحيد الربوبية ولا يمنع أن يكون الله
 خالق كل شيء ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة
 كذلك اثبت بعض الافعال المحرمة من شرك أو غيره أسباب لا تقدح
 في توحيد الألوهية ولا تمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص
 ولا توجب أن تستعمل الكلمات والافعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط
 ذلك ويعاقب عليه ويكون ذلك على العبد أكثر من منفعة اذا
 قد جعل الخير كله في ألا نعبد الا آياه ولا نستعين الا به قال وعلمة آيات
 القرآن تثبت هذا الاصل حتى أنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون اذنه
 كقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال وانذر به الذين

يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع وقال
وذكربهم أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع
وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
ظهركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع
بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وسورة الانعام سورة عظيمة مشتملة
على أصول الايمان وكذلك قوله ثم استوى على العرش مالكم من دونه
من ولى ولا شفيع وقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقرّبونا
الى الله زلفى وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وسورة الزمر أصل عظيم في هذا
قال والقرآن عامه انما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذى هو أصل
الاصول انتهى وما احتج به هذا الملحد من قول النبي ﷺ أتى أمتى
فيقال انطلق فأخرج من في قلبه كذا وكذا من ايمان وقوله فما المانع
من اطلاق هذا اللفظ يعنى لفظ الانقاذ وطلبه من النبي ﷺ وهل هذا
الاخراج الا الانقاذ من عذاب الله فالعجب من هذا التوجيه فهل فعل
هذا ﷺ بنفسه أو بأمر الله له بذلك فانه سبحانه هو الذى أكرمه
بهذه الشفاعة فهو ﷺ عبد مأمور لا يشفع الا باذن ربه فيمن أذن الله
له أن يشفع فيه فقط لا يتجاسر أن يشفع في غير من أذن له فيه ربه ثم
انظر قول هذا ان النبي ﷺ حي كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق
فلا مانع في ذلك اليوم من أن ينسب ويخرج وينقذ من الشدة لانه حي
حاضر والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم احياء حاضرون لهم قدرة فيما
يقدرون عليه من الامور العادية الحسية قال وعند هذا الرجل واشياعه
ان الحى الحاضر له قدرة بنفسه فكيف ينكر انقاذ أمته من العذاب

ويجعله ممتنعا مع ان النبي حينئذ حاضر له قدرة فيما يقدر عليه ذلك
اليوم ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا كما كان يرى العدو
وهم ألوف بكف من تراب فيعميمهم ويروى الالوف العطاش ويشبعهم
بقليل من الماء والطعام فلينظر المذنب الى تقرير هذا المبطل وجهه النبي
بل وغيره يتصرفون في ذلك اليوم كتصرفهم في الدنيا وانه صلى الله عليه
وسلم يخرج وينقذ من الشدة ويقرر ذلك هذا التقرير وانه صلى الله عليه
وسلم يقدر على ذلك أى الانقاذ وتعجبه عن ينكر ذلك فقال وكيف ينكر
انقاذ أمته من العذاب ويحتج علينا بأن للحى الحاضر قدرة في الدنيا
على التصرف بالفعل بنفسه فنقول فيلزمكم أن تثبتوا ذلك في الآخرة
لا فرق ثم قال ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا وقوله والنبي
وجميع الخلائق ذلك اليوم لهم قدرة فيما يقرون عليه من الامور
العادية الحسية والمراد بالامور العادية الاشياء التى يفعلها الحى في العادة
والحسية الافعال المشهودة بالعيان مثل اعطاء بعضهم بعضا ومعاونة
بعضهم بعضا وكذا جناية بعضهم على بعض والعجب من هذا الضال
سوى في هذه الامور بين الدنيا والآخرة ولم يجعل لآخباره سبحانه بتفرد
بالملك والامر في ذلك اليوم فائدة ولا معنى وأى محادة لله ورسوله
أكبر من هذا وهذه نصوص الكتاب والسنة تذكر بعضها فيعرض
المنصف كلام هذا الرجل عليها قال تعالى مالك يوم الدين قال ابن كثير
وانما أضيف الملك الى يوم الدين لانه لا يدعى أحدهما شيئا ولا يتكلم أحد
الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن
وقال صوابا وقال يوم يأت لاتنكم نفس الا باذنه وقال وخشعت الاصوات
للرحمن فلا تسمع الا همسا وقال الضحاك عن ابن عباس مالك يوم الدين

يقول لا يملك أحد في ذلك اليوم خكاً كملكهم في الدنيا قال ويوم الدين
يوم الحساب للخلائق وهو يوم يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر
إلا من عفى عنه قال وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو
ظاهر وقال البغوي مالك يوم الدين إنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه
مالكاً للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له قال تعالى
الملك يومئذ الحق للرحن وقال لمن أملك اليوم لله الواحد القهار وقال والأمير
يومئذ لله انتهى وقال تعالى وإلى الله ترجع الأمور وقال وإلى الله يرجع الأمر
كله وهذا معنى قوله والأمير يومئذ لله وقال تعالى قوله الحق وله الملك يوم
ينفخ في الصور وقال الملك يومئذ لله يحكم بينهم وقال الملك يومئذ الحق
للرحن وقال واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً قال البيضاوي
في هذه الآية يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً قال وإيراده شيئاً منكراً
مع تنكير النفس للتعميم والاقطاط الكلي انتهى وما ذكره البيضاوي من
أن النكرة في سياق النفي تهم تجمع عليه عند البيانين والإصولين وعليه
جميع المفسرين والفقهاء وقال تعالى واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده
ولا مولود هوجاز عن والده شيئاً وقال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً وقال
يوم لا يملك نفس لنفس شيئاً فنكر النفسين وشبهاً وهذا من أبلغ صيغ
العموم في النفي كما قال البيضاوي فيعم جميع الانفس وكلها يقع عليه اسم
شيء ثم أكد ذلك بقوله والأمير يومئذ لله وقال ابن كثير وما أدراك ما يوم
الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين بتحويل لسان ذلك اليوم ولهذا قال يوم
لا يملك نفس لنفس شيئاً أي لا ينفع أحد أحد ولا يدفع أحد عن أحد
شيئاً ولهذا قال والأمير يومئذ لله كقوله الملك يومئذ الحق للرحن وقوله
لمن أملك اليوم وكقوله مالك يوم الدين قال قتادة والأمير يومئذ لله قال

والاخر والله لله اليوم ولكن لا ينازعه يومئذ أحد ولا يصنع أحد شيئا
 الا رب العالمين وقال الزمخشري وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم
 الدين يعني ان أمر يوم الدين عظيم بحيث لا يدرك كنهه في الهول والشدة
 وكيفية تصورت فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرار لزيادة التهويل
 ثم أجل القول عن وصفه فقال يوم لا ملك نفس لنفس شيئا أي لا يستطيع
 دفعها عنها ولا نفعها لها بوجه فلا أمر الا لله وحده وفي تفسير الجلالين يوم
 لا تملك نفس لنفس شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله لا امر لغيره معه (١) أي
 لم يمكن لاحد من المخلوق التوسط فيه بخلاف الدنيا وقول المعترض ان البغوي
 قال في قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ان هذا في النفس الكافرة
 وكذب في نسبة ذلك الى البغوي فان البغوي حكى ذلك عن مقاتل فيحتمل
 ان يقتل شخص بعض ما تناولته الآية لمعنى ما والظاهر ان مراده ان غير
 الكافر يشفع فيه الشافعون ويرى ان من أذن له في الشفاعة يملك ما أذن
 له فيه كما قال بعض المفسرين في قوله سبحانه لا يعلكون الشفاعة الا من
 اخذ عند الرحمن عهدا - وقوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
 الا من شهد بالحق وهم يعلمون جاء على ان الاستثناء في الآيتين متصل
 وان من أذن له في الشفاعة يصدق عليه أنه ملك الشفاعة فيمن أذن له
 فيه فقط والشفاعة المأذون فيها هي غير الامر الذي اختص به سبحانه
 في قوله والامر يومئذ لله والامر والام في الامر تفيد العموم عند الجميع
 كقوله ولله يرجع الامر كله والى الله ترجع الامور فهو سبحانه له الامر
 والافضل له الامر كله قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض يوم
 يأتي لتكلم نفس الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
 الا من أذن له الرحمن وقال صوابا والعموم في قوله سبحانه وتعالى يوم

لا تملك نفس لنفس شيئا كالعموم في نظائرها من الآيات التي قدمنا ذكرها
 كقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وقوله لا يجزي والد عن
 ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وما رأينا أحدا من المفسرين قال
 في هذه الآية بالخصوص بل قرروا عمومها على مقتضاه ولم يقل أحد منهم
 في شيء منها انه يختص بالكفار سوى ما ذكره البغوي عن مقاتل في قوله
 يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وليس هو بصواب وهو مخالف لما عليه
 المفسرون وأهل العربية والاصوليين والفقهاء في قولهم بعموم النكرة
 في سياق النفي فن له نظر في كتب الجميع وجد ذلك صريحا قال في شرح
 مختصر التحرير ومن صيغ العموم نكرة في نفي صرح به أهل العربية
 وكذا قال العراقي في شرح جع الجوامع ان النكرة في سياق النفي تعم ولم
 يذكر خلافا وهذا يفهم كل أحد من مثل قوله تعالى ولا تظلمون تقيرا ولا
 يظلمون فتيلا لا تخفي منكم خافية ان الله لا يخفي عليه شيء في الارض
 ولا في السماء فلا يخاف ظلمنا ولا هضمنا فن سمع هذه الآيات ونحوها لم
 يشك في عمومها كيف وفي قوله سبحانه وتعالى يوم لا تملك نفس لنفس
 شيئا زيادة تأكيد للنفي لانه نكر النفسين وشيئا فهو كما قال البيضاوي
 في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا حيث قال وايراده شيئا منكرا مع
 تنكير النفسين للتعميم والاقطاط الكلي ولا ريب ان الشفاعة الحاصلة بانها
 سبحانه وتعالى ليست داخلة تحت النفي حتى يقال ان هذا مخصوص
 بالكافرة وانما المنفي نفع أحد أحد بشفاعة أو غيرها بدون اذنه تعالى
 كما قال قتادة وليس أحد يضمن يومئذ شيئا الا رب العالمين وما يوضح خطأ
 من خص الآية بالكافرة ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة
 رضى الله عنه قال لما نزلت وأنذر عشيرتاك الاقربين قال رسول الله ﷺ
 يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا

الى أن قال يافاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله
 شيئا وفي رواية الترمذى لحديث أبي هريرة يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم
 من النار فاني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا الى أن قال يافاطمة بنت محمد
 أنقذى نفسك من النار فاني لا أملك لك من الله شيئا (١) ان لك رجلا
 سألها بيلها وفي صحيح مسلم من طريق آخر عن أبي هريرة قال
 لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين دعا رسول الله ﷺ قريشا فعم
 وخص فقال يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يامعشر بنى هاشم
 أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة
 بنت محمد أنقذى نفسك من النار فاني والله لا أملك لكم من الله شيئا
 الا أن لكم رجلا سألها بيلها وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها
 قالت لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين قام رسول الله ﷺ فقال يافاطمة
 بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يابني عبد المطلب اني لا أملك لكم من
 الله شيئا سلوني من مالى ما شئتم وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله
 عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ يوما فذكر الغاؤل فعظمه وعظم أمره
 ثم قال لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته يعير له رغاء فيقول
 يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك لألقين
 أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حجمة فيقول يا رسول الله
 أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك الحديث فأخبر الصادق
 المصدوق انه لا يملك لابنته سيدة نساء الامة وعمه وعمته والمهاجرين والانصار
 من الله شيئا ولا يغنى عنهم من الله شيئا فهذه الاحاديث ونحوها شاهدة
 للعموم في قوله سبحانه وتعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا مع ان الآية صريحة
 في ذلك فهذه الاحاديث تزيد الواضح وضوحا والله الحمد مع ان قول مقاتل
 ليس فيه حجة لهذا المبطل لاتنا نقطع ان مقاتلا لم يرد أن أحدا يفعل

(١) في نسخة ضرا ولا نفعا

في ذلك اليوم شيئا من دون الله أو ان أحدا يشفع عنده بغير اذن وانما أراد
 نفي الشفاعة في الكافر وليتأمل المنصف ما ذكرنا من الآيات والاحاديث
 المصرحة بتفرد الله سبحانه بالملك والامر في ذلك اليوم وانه لاحاكم ولا
 متصرف هناك سواء سبحانه ويعرض قول هذا الملحد المشرك بين الله
 وبين رسوله بل وغير الرسول في التصرف والامر في ذلك اليوم العظيم
 بقوله ان النبي يقدر على انقاذ أيمته من العذاب في ذلك اليوم وانه يقدر
 على ما كان يقدر عليه في الدنيا وانه يتصرف في ذلك اليوم هو وغيره
 كما كانوا في الدنيا فيعرض كلام هذا على ما ذكرنا من كلام الله وكلام
 رسوله ليتبين الهدى لمن أراد الله هداه (قال المعترض) وصاحب البردة
 يخبر أنه ان لم يكن النبي ﷺ في معادى آخذاً بيدي والا فقل يا زلة القدم
 فيقال له قول صاحب البردة وقولك ليس اخبارا بل هو استغانة من أبلغ
 ألفاظ الاستغانة كقول الابوين ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
 لنكونن من الخاسرين وقول نوح والاعتفلى وترحمني أكن من الخاسرين
 وقول بني اسرائيل لأن لم يرحنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
 أترى ان الابوين وجميع المذكورين يخبرون الله بانه ان لم يغفر لهم ويرحمهم
 فهم خاسرون وان هذا منهم مجرد اخبار بل كل أحد يعرف ان هؤلاء
 الذين أخبر الله عنهم بهذا الكلام يسألون الله ويرغبون اليه في ان لم يغفر
 لهم ويرحمهم ومعترفون بانه ان لم يغفر لهم ويرحمهم فهم خاسرون وهذا الجاهل
 لا يعرف الفرق بين نوعي الكلام من الانشاء والخبر فالكلام عند علماء
 البيان نوعان خبر وانشاء فالخبر ما احتمل الصدق والكذب أى ما احتمل
 أن يكون قائله صادقا ويحتمل أن يكون كاذبا كقوله جاء زيد وقدم عمرو
 فهذا قول يحتمل أن يكون صادقا وان يكون كذبا فهذا تعريف الخبر وما
 سواء يسمى انشاء وأما قول صاحب البردة وقول المشطري يا أكرم الخلق

مالى من ألؤذ به سواك الى قوطها ان لم تكن فى معادى آخذنا بيدي
 ومنقضى من عذاب الله والالم الى قوله والا فقل يا زلة القدم أى وان لم
 تأخذ بيدي وتنقضى من عذاب الله فقل يا زلة القدم أى فانا خاسر أو
 هالك فهو كقول الابوين وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
 وقول نوح والا تغفرلى وترحمنى أكن من الخاسرين وقول نبي اسرائيل
 لئن لم يرجنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ثم أورد المعترض
 أشياء يستدل بها لقوله ومنقضى من عذاب الله والالم وليس فيها ما يستأنس
 له به فضلا عن أن يكون حجة وانما أراد الاكثر من الكلام ايهاا للطعام
 وقد قدمنا جملة من شبهه حقيقةا نسبة المسبب الى سببه منها قوله فوكزه
 موسى فقضى عليه قال مع ان القضاء من الله يعنى ان القضاء فى هذا الموضع
 هو فعل الرب سبحانه الذى بمعنى التقدير كما يقال قضى الله كذا أى
 قدر كذا وقد أخطأ فى معنى هذه الكلمة وانما المراد بالقضاء فى قوله فقضى
 عليه القتل الذى هو فعل موسى لا فعل الرب يقول فوكزه موسى فقضى
 عليه أى فقتله هذا هو المراد عند جميع المفسرين بقول العرب قضى
 فلان على فلان اذا قتله ويقال قضى فلان أى مات وقوله صلى الله عليه
 وسلم وأما آخذ بحجزكم عن النار المراد تحذيره عن الاعمال التى توجب
 غضب الرب وتورد النار (وقوله) ان الله نسب اخراج الكفار من
 النور الى الظلمات الى الطاغوت وهى الاصنام فأخطأ فى قوله ان المراد
 بالطاغوت هنا الاصنام وأكثر المفسرين يقولون المراد بالطاغوت هنا
 الشياطين وقيل المراد كعب بن الاشرف وأشباهه من علماء اليهود ولم
 نرم من فسر الطاغوت هنا بالاصنام ولهذا قال يخرجونهم فأتى بضمير العقلاء
 فلاوذهبنا نتبع خطاه وتخبيطه فى نحو ذلك لطلال الكلام وذكر قول
 الشاعر منع البقاء تقلب الشمس وقولهم انبت الربيع البقل ومن استبدل

بنحو ذلك على جواز الاستغانة بالنبي ﷺ وغيره من الاموات والغائبين
 بطلب الحاجات منهم ثم طلب الانقاذ من عذاب يوم القيامة وشدائده فقد
 أتى بما ينكره العامي السليم الفطرة ولكن الهوى يعمى ويصم ونحن
 لا نتكر اضافة الاشياء الى أسبابها ولكن الله سبحانه هو خالق الاسباب
 والمسببات ولا يلزم من ذلك أن نعتمد على الاسباب فضلا عن أن نسلها
 ونرغب اليها وهي مخلوقة بل يتعين على العباد أن يعتمدوا على خالق
 الاسباب ويرغبوا اليه ويستعينوا به ويعبدوه وحده اياك نعبد واياك
 نستعين وقال شيخ الاسلام تقي الدين في أثناء كلام له ان اثبات المخلوقات
 أسبابا لا يقدح في توحيد الربوبية ولا تمنع أن يكون الله خالق كل شيء
 ولا توجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة انتهى وقد تقدم وهذا
 المبطل يقول اذا كان الله قد جعل النبي سببا للانقاذ من النار من أراد
 الله هدايته جاز ان يطلب الانقاذ من النار منه ﷺ فطرد هذا الاصل
 الباطل أن يجوز ذلك في جميع الاسباب وقد قال الله تعالى الله الذي يرسل
 الرياح فتثير سحابا فيلزمه أن يجوز للناس أن يطلبوا من الريح أن تسير
 لهم سحابا مطرا وقال تعالى في حق نبيه ككتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس
 من الظلمات الى النور والمراد بالظلمات ظلمات الجهل والكفر والشك الى
 نور العلم والايمان فيجوز على أصل هذا أن يقال يا رسول الله أخرنا من
 الظلمات الى النور وهذا حقيقة هداية الصراط المستقيم فيقال يا رسول الله
 اهتدنا الصراط المستقيم وهذا لازم لهذا المبطل على أصله الباطل لا محيد له
 عنه ولا تستبعد التزامه ذلك لجهله وعناده وقد قال الله تعالى انك لاتهدي
 من أحببت قوله وقد ورد نسبة الانقاذ الى المعاني من الاعمال الى آخر
 كلامه هذا مما احتج به ائمة ومنتقذي من عذاب الله والالم فانظر هذا

القياس الفاسد وجعله هذا من باب أولى وقياسه هذا أقبح من قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا لو انه ساوى بين الامرين فكيف وهو يقول هذا من باب أولى فكذب على الله وعلى رسوله في زعمه ان ذوات المخلوقين تنقذ من عذاب الله كما تنقذ الاعمال الصالحة بل هي أولى في زعمه ومراده طلب الانقاذ من المخلوقين لانه أراد بذلك الاحتجاج لطلبه الانقاذ من النبي ﷺ بقوله ومنقذى من عذاب الله والالم ولقوله ان الله أمر بطلب الحاجات من الاموات والغائبين وهذا من الكذب على الله وشرع دين لم يأذن به الله حيث زعم ان الله يحب من عباده أن يطلبوا من غيره ان ينقذهم من عذابه وانه يحب من المؤمنين طلب الحاجات من الاموات والغائبين أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والامم والبني بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون والله سبحانه جعل دخول الجنة والنجاة من النار معلقا على الاعمال الصالحة لاعلى الالتجاء الى المخلوقين والاستعانة بهم والتوسل بذواتهم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذاكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن الآيتين فعلق سبحانه النجاة من عذابه ومغفرة ذنوبهم ودخولهم الجنة والنصر على الاعداء على الايمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله وقال وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وقال وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ما كشين فيه أبدا وقال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

بالصبر وكما جعل سبحانه اتباع رسوله سببا لمحبه ومغفرة الذنوب والفلاح
 في الدنيا والآخرة قال سبحانه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
 الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
 النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا المقتضى على الله الكذب
 يزعم ان التقرب الى الله بذوات المخلوقين أولى من التقرب اليه بالاعمال
 الصالحة واتباع رسول الله ﷺ فيها سبحانه الله كيف يروج تمويه هذا
 على من يسمع هذه الآيات ونحوها مما لا يحصى من آي القرآن وعلى من
 يسمع قول الله سبحانه مالك يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
 والأمر يومئذ لله يوم يأت لا تكلم نفس الا بأذنه ونحو هذه الآيات مع
 قول النبي صلى الله عليه وسلم لا بقته وعمه وعمته والمهاجرين والانصار لا أغني
 عنكم من الله شيئا لأملك لكم من الله شيئا ويؤكد ذلك بحلفه لا بقته
 وعمرته انه لا يغني عنهم من الله شيئا وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه
 ﷺ قل اني لأملك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن ينجيني من الله أحد
 ولن أجد من دونه ملتحدا أي لا أجد من التلجى اليه وأعتمد عليه وصاحب
 البردة يقول فان لي ذمة بسميتي محمدا يعني أنا في ذمته وجواره لموافقة
 اسمي اسمه وهذا يقتضي أن كل من سمى محمدا فهو في ذمته ﷺ وقوله
 في الحمزية الامان الامان أي أسئلك الامان فأكده تأكيداً لفظياً فهو
 يطلب من النبي ﷺ أن يؤمنه ويخبره من عذاب الله وقد قال النبي
 ﷺ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال
 ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل وكان أكثر دعاء النبي ﷺ
 اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ومن
 دعائه ﷺ رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك وفي دعاء الخروج

الى الصلاة أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر
الذنوب الا أنت فالنبي ﷺ يسأل الله أن يقيه عذابه وعذاب النار
ويسأله أن ينقذه من النار وهذا يطلب الانتقاذ من النبي ﷺ ما أعظمه
من ضلال وفي بعض أدعيته ﷺ أسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار
وقال للذي قال لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ اني أسأل الله الجنة
وأعوذ به من النار حو لها ندندن ومن دعائه ﷺ لا ملجأ ولا منجأ منك
الا اليك أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك
منك لأحصى ثناء عليك فالتجأ الى الله منه واستعاذ به منه وصاحب البردة
والمشطر التجيا الى الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب الله وعذا به
منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال اللهم اني أتوب اليك لا الى
محمد عرف الحق لاهله * وزعم هذا المتخبط * ان الشفاعة نوعان أحدهما
الاخذ باليد والانتقاذ والثاني معنى قولي أي شافعا لي باستغفاره فالاولى
شفاعة فعلية بان يخرج من العذاب بعد وقوعه فيه والثانية شفاعة
قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة انتهى فانظر الى هذا التقسيم
الباطل وهل يعقل الناس شفاعة الا بالكلام من الشافع كما في حديث
الشفاعة الطويل حتى استأذن علي ربي فاذا رأيته وقعت له أو خرت
ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فأرفع رأسي فأجده به حميد يعطينيه ثم أشفع فيحد
لي حدا فأدخلهم الجنة وذكر الثانية كذلك والثالثة والرابعة وكذلك
شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في اخراج ناس من النار يقال له انطلق
فاخرج من في قلبه كذا من ايمان فاعجب من ترويج هذا المبطل وهل
يسمى الفعل المجرد عن القول شفاعة عند عالم أو جاهل انما الشفاعة

بالكلام وقبولها بالفعل من الشافع فيما أذن له فيه فادخله عليه السلام الجنة
 من أمره الله بإدخاله وإخراجه من النار من أمره بإخراجه هذا حقيقة
 قبول الشفاعة لان ذلك شفاعة أخرى وهل يوجد في حديث انه عليه السلام
 أدخل أحدا الجنة أو أخرج أحدا من النار بغير أمر الله وهذا أمر واضح
 ما يحتاج الى توضيح لكن ربما يحصل بكلامه تشبيه على الجاهل فلو ذهبنا
 نتبع ما في كلامه من الركابة والتناقض والعيب لاحتمل مجلدا من ذلك
 قوله على قوله في القصيدة أو شافعا الى مما قد جنبته فإrade اخباره عن
 نوع آخر من الشفاعة وهو كونه شافعا الى باستغفاره أو بدعائه لافعله
 فيشفع لي شفاعة ثانية مما جنبته من الذنوب فلا يؤخذني بها فلا أرى
 العذاب بالكلية أو يزيد في درجاتي ثم قال بعد ذلك وقولي ثانيا أو شافعا
 لي مما قد جنبته غدا فهي شفاعة أخرى غير شفاعة الاتقاد بالاستغفار
 للذنوب قال تعالى واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال ولو انهم اذ
 ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
 رحيم فالاولى شفاعة فعلية بان ينقذه من العذاب بعد وقوعه والثانية
 شفاعة قولية بان يحال بين المذنب وبين المؤاخذة قال وهذا ظاهر انتهى
 أقول بل كانه كلام باطل متناقض من ذلك كونه جعل قوله في خطابه للنبي
عليه السلام ومنقضى من عذاب الله والالم أو شافعا الى اخبارا فهذا باطل بل هو
 استغاثته به عليه السلام لآخر وقد قدمنا عند قوله فيما تقدم وصاحب البردة
 يخبر انه ان لم يكن النبي عليه السلام آخذا بيده والا فقل يازلة القدم ايضاح
 ذلك ولكن لو سلم انه خبر مع استحالة كونه خبرا فهو اخبار منه للنبي
عليه السلام لان الخطاب معه فهو يخبر النبي عليه السلام بان يشفع له شفاعتين قولية
 وفعلية فهو يخبر النبي بما لا يعلمه لانه لو كان يعلم ذلك لم يحتج الى اخباره

له بذلك وحقيقة كلامه اذا جعله خبرا انه يقول أبت يا رسول الله تشفع
 لى شفاعتين فعلية وقولية فهل يوجد كلام أسمع من هذا الكلام مع
 تضمنه الكذب على الله وعلى رسوله وتركية نفسه بحصول شفاعته النبي
 ﷺ له فهو والحالة هذه شاهد لنفسه بانه من أهل الجنة وجعله الشفاعته
 الاولى بان ينقذه النبي من العذاب بعد وقوعه فيه والشفاعة الثانية استغفار
 النبي ﷺ له ما أعجب هذا هل فى الآخرة توبة واستغفار وانما الواقع
 من الانبياء وغيرهم الشفاعته ولم يأت أهل الموقف الى الانبياء يقولون
 استغفروا لنا بل يقولون اشفعوا لنا وأيضا اذا حصلت لهذا الشفاعته الفعلية
 بزعمه وهى الانقاذ من العذاب فقد سلم من المؤاخذه بذنبه فلا يحتاج أن
 يشفع له ثانيا بان لا يؤاخذ بذنبه ومن له أدنى نظر تبين له فساد كلامه
 وتناقضه فى أكثر المواضع من تسويده هذا والله الهادى الى سواء السبيل
 (وذكر المعترض) انى استدلت بقول الله سبحانه أفأنت تنقذ من
 فى النار ولا أذكر ذلك ولا وجدته فى المسودة عندى ولا شك ان معنى
 الآية ان من كتب الله شقيا لا تنقذه مما هو فيه من الضلالة لان من يهده
 الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له هذا مع انى أقول الاستدلال بعموم
 الآية على مانحن فيه سائغ وما زال العلماء يستدلون بآيات نزلت فى أمور
 خاصة على ما يتناولها اللفظ بعمومه والعبرة عند العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص
 السبب لاسيما والمستدل بهذه الآية عليه ثابت حكمه بنصوص آيات وأحاديث
 كقوله سبحانه مالك يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
 لله وكقوله ﷺ لسيده نساء الامة ولقرايته أقنذوا أنفسكم من النار
 فانى لا أملك لكم من الله شيئا وقوله للمهاجرين والانصار لا أملك لكم
 من الله شيئا ومعنى لا أملك لكم من الله شيئا لا أملك لكم ضرا ولا نفعا
 كما فى رواية الترمذى للحديث (قال البغدادى) وهذا الرجل ينكر نسبة

الانقاذ من النار بالفعل الى رسول الله ﷺ ويذكر الاحاديث التي فيها
 نسبة الانقاذ من النار الى قريش ولا يدري أنها رادة عليه مدعاه الذي
 يدعيه اذ يقال كيف نفي الله الانقاذ عن نبيه ويشبهه لاقاربه من قريش
 بقوله أنقذوا أنفسكم من النار فإنه نسب الانقاذ من النار لهم فان قلت
 أراد انكم تسبون في انقاذ أنفسكم بالاسلام قلنا وكذلك اطلاق كلامنا
 ككلامه فان مرادنا بقولنا ومنقذى من عذاب الله والالم أى متسببا
 في انقاذى أو منقذى بفعله انتهى فانظر الى هذا الكلام الباطل والقياس
 الفاسد يقول كيف ينفي الانقاذ عن نبيه ويشبهه لاقاربه من قريش
 وقوله واطلاق كلامنا ككلامه الخ قلنا أما الاتفاق في الحروف فنعم وأما
 في المعنى فيين الكلامين من التباين مالا نهاية له فالعجب من هذا التلخيص
 الذى لا يخفى على العالمى السليم الفطرة فقوله فكلامنا ككلامه يقال
 له كذبت فهو ﷺ يقول أنقذوا أنفسكم من النار بطاعة الله ورسوله
 فهذا السبب الذى أمرهم به ﷺ في دار العمل وأنت تطلب الانقاذ من
 النار من النبي ﷺ بفعله في دار الجزاء فسببك الذى تعتمد عليه الشرك
 وهو الاستغاثة به ﷺ لينقذك من عذاب الله يوم لا تملك نفس لنفس
 شيئا والامر يومئذ لله والسبب الذى أمر به ﷺ التوحيد ولزوم طاعة
 الله ورسوله فالسبب الذى أمر به ﷺ يوصل الى رضى الله والجنة وسببك
 الذى تدلى به يبعدك عن الله غاية الابعاد وهل قال النبي ﷺ لابنته وعمه
 وعمته والمهاجرين والانصار أنا أنقذكم من عذاب الله أو أتسبب في انقاذكم
 فلا تخافوا فلو كان له ﷺ شئ من هذا الامر ذلك اليوم لكان هؤلاء
 أحق من غيرهم وقوله كيف ينفي الانقاذ عن نبيه ويشبهه لقريش قلنا
 لم تنف الانقاذ عنه صلى الله عليه وسلم بل هو الذى نفاه عن نفسه
 بقوله لا أملك لكم من الله شيئا لا أغنى عنكم من الله شيئا فلا انقاذ

الذي أمرهم به غير الانقاذ الذي نجاه عن نفسه (قال المعارض)
وأما استدلاله بقوله سبحانه عن صاحب يس ان يردن الرجن بضر لاتغن
عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فان هذا في الاصنام التي اتخذها الكفار
آلهة وأربابا من دون الله قال فهل يستدل من له أدنى تمييز على عدم
شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وانقاذه لأمته بمثل هذا الدليل الباطل
الذي ساوى فيه الاصنام بسيد الانام بعد ما أخبر الله عنه بقوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال وظاهر كلام هذا الرجل انكار الشفاعة
بالكلية لقوله وهذا نص في ان من أراد الله بضر فلا منقذه ولا شفيع
قال ومعلوم ان من استوجب العذاب من المسلمين أو دخل فيه وشفع فيه
الانبياء أو الملائكة أو المؤمنون لاشك ان الله أراد بضر ونفعته شفاعة
الشافعين فكيف يجوز لمسلم انكار الشفاعة وهو يدعي انه من أهل السنة
والجماعة ويستدل عليها بآية الاصنام المتخذة أربابا انتهى (قوله) ان
هذه الآية أعني آية يس في الاصنام خاصة فهو كاذب ضال في قوله هذا بل
الآية عامة في كل ما عبد من دون الله لان من أراد الله بضر لم يغن عنه
معبوده شيئا سواء كان معبوده ملكا أو نبيا أو غيرها فلا يكشف عنه
ضرا أراد الله به ولا يجلب له نفعا وأتى سبحانه في الآية بضمير العقلاء بالوار
والمبهم فهي عامة في كل معبود من دون الله سواء كان عاقلا أو جادا يوضح
ذلك قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا الآية قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هم الملائكة والمسيح
وأمه وعزير وقال ابن مسعود نزلت في أناس يعبدون ناسا من الجن فأخبر
سبحانه ان هؤلاء لا يملكون كشف الضر عن عبدهم ولا تحويلا من
موضع الى موضع وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
(وهذا المعارض) يقول هذه الآية آية يس فيمن عبد الاصنام ومقتضى

قوله ان من عبد غير الاصنام ان معبوده ينفعه بشفاعته وغيرها ومن المعلوم
 بالسنة المتواترة واجماع أهل السنة بل الامة ان من مات مشركا لا شفيع له
 وأخبر سيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه ان شفاعته لمن مات لا يشرك
 بالله شيئا فمن عبد غير الله من ملك أو نبي أو صالح أو صنم أو غير ذلك
 فانه لا يشفع فيه شافع ولا يدفع عنه دافع قال الله تعالى ما للظالمين من
 حيم ولا شفيع يطاع وقال فما تنفعهم شفاعتنا الشافعين وقال وكم من ملك
 في السموات لا تنفعي شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء
 ويرضى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وانظر الى انكار هذا المعترض قولنا
 ان من أراد الله بضر فلا منقلبه ولا شفيع كما هو نص الآية بقوله ظاهر
 كلام هذا الرجل انكار الشفاعاة بالكلية لقوله وهذا نص في أن من أراد
 الله بضر فلا منقلبه ولا شفيع فياعجبا من جرأة هذا وهل قلت من عند
 نفسي ان من أراد الله بضر فلا شفيع له ولا منقلبا وهذا قول الله سبحانه
 وتعالى لا قول غيره وزعم أن استدلالنا بالآية انكار منا للشفاعة وهو يعلم
 اننا لا تنكر الشفاعاة الواقعة باذن الله وانما تنكر الشفاعاة الشريكية التي
 ينبتها هو وأشباؤه (قوله) يستدل من له أدنى عقل على عدم شفاعاة النبي
 ﷺ واتقاده لأمته بمنزل هذا الدليل الباطل فوصف الحديث كلام الله
 بالبطلان مما يبين جهل هذا وجوره فلو قال الاستدلال الباطل لكان أخف
 اثما لان وصف الدليل بالبطلان كفر صريح لان القرآن هو الدليل قال
 الامام احمد الدال الله والدليل القرآن والمبين الرسول والمستدل أولو العلم هذه
 قواعد الاسلام والمقصود بذكر كلام احمد بيان ان الذي يوصف بالدليل
 هو القرآن (فقول المعترض) مثل هذا الدليل الباطل وصف للقرآن
 بالبطلان وانظر قوله ومعلوم ان من استوجب العذاب أو دخل فيه وشفع

فيه الملائكة والانبياء وغيرهم لاشك ان الله اراده بضر ونفعه شفاعته الشافعين فصريح كلامه هذا تكذيب لصاحب يس الذي صدقه الله فيه ويشهد له من نصوص القرآن مالا يحصى الا بكلفة في قوله ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقدون فيقال لهذا المتخرس انما تكون الشفاعه لمن اراد الله رحته وان كان قد عذبه قبل ذلك فاذا اراد الله سبحانه رحته انسان قد استوجب العذاب وقد دخل النار أخرجه منها برحته أو اذن لمن يشاء من عباده ان يشفع فيه كما في بعض أحاديث الشفاعه ان الله سبحانه اذا اراد رحته من شاء ممن في النار اذن في الشفاعه فيه واما من اراد الله ضره في الآخرة أو في الدنيا فلا منقذه ولا شفيع قال الله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وقوله لاشك ان الله اراده بضر ونفعه شفاعته الشافعين فنقول لاشك في بطلان هذا الكلام بل هو كفر لان حقيقة كلامه هذا ان شفاعته الشافعين منعت من نفوذ ارادة الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قال المعارض) وأما استدلاله بقول الله سبحانه وتعالى ليس لك من الامر شيء فيقال هذه نازلة في اناس مخصوصين من الكفار آذوا النبي ﷺ فدعا عليهم بالهلاك وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال ليس لك من الامر شيء فهذه الآية في اناس مخصوصين ونحن كلامنا في نفع الهي أمته بالشفاعة فقد أخبره الله بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وأنزل له جبريل يقول الله انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك ولم يقل هنا ليس لك من الامر شيء انتهى (يزعم المعارض) ان قوله سبحانه ليس لك من الامر شيء في اناس مخصوصين فقوله ونحن كلامنا في نفع النبي ﷺ أمته بالشفاعة وقد أخبره بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى

ولم يقل هنا ليس لك من الامر شيء فيقال وهل في قوله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى معارضة لقوله ليس لك من الامر شيء فالامر كله له وحده ووعد نبيه انه يرضيه وقوله ان الآية نزلت في أناس مخصوصين مراده ان حكمها لا يتعداهم ليس مراده انهم سبب النزول فهو يقول ان غير هؤلاء المخصوصين للنبي من أمرهم شيء فيكون شريكا لله في أمر غير هؤلاء المخصوصين ولهذا احتج بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ولم يقل هنا ليس لك من الامر شيء فجعل قوله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى معارضا لقوله ليس لك من الامر شيء لانه عارض هذه الآية بتلك الآية وضرب كلام الله ورسوله بعضه ببعض مع انه ليس بين الآيتين ما يوجب التعارض فالذي له الامر كله وعد نبيه ان يعطيه فيرضى وانما مراده بايراد الآية التلييس والايهام للجهال والله سبحانه لم يقل ليس لك من أمر هؤلاء المخصوصين شيء وانما قال ليس لك من الامر شيء والامبالللام تفيد العموم عند الاصوليين وقال تعالى الله الامر من قبل ومن بعد وقال قل ان الامر كله لله وقال بل لله الامر جميعا (قال ابن كثير) على قوله سبحانه ليس لك من الامر شيء بعد الكلام على أول الآية قال ثم اعترض بمجمل دالة على ان الحكم في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال ليس لك من الامر شيء بل الامر كله لي كما قال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء قال محمد بن اسحق ليس لك من الامر شيء أى ليس لك شيء من الحكم في عبادى الا ما أمرتك به فيهم انتهى وقال تعالى ألا له الخلق والامر أورد ابن جرير عند تفسير هذه الآية حديثا مرفوعا الى النبي ﷺ قال من زعم ان الله جعل للعباد شيئا من الامر فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له

اخلق والامر فله سبحانه الامر كله وله الملك كله والحمد كله واليه يرجع الامر
 كله فالامر كله سبحانه في الدنيا والآخرة وانما خص يوم القيامة في نحو قوله
 يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله لتفرد سبحانه في ذلك
 اليوم بالتصرف والحكم والتدبير فليس لأحد معه في ذلك اليوم تصرف
 ولا تدبير ولا أمر ولا نهى بخلاف الحال في الدنيا فان الله سبحانه ملك
 أهلها ما خولهم فيها فهم يتصرفون فيما أعطاهم بحسب اختيارهم مع كون
 الملك والامر في الحقيقة لله وحده في الدنيا والآخرة وقد قال الله سبحانه
 لنبيه لما قال في شأن عمه أبي طالب لا تستغفرن لك ما لم انه عنك ما كان
 للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد
 ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وقال في شأن المنافقين استغفر لهم أولا
 تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل
 على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره (قال المعترض) وأما استدلاله
 بقوله لقرابته وبضعته لأغني عنكم من الله شيئا معناه اذا لم تؤمنوا بالله
 ورسوله لأغني عنكم من الله شيئا بدليل قوله أنقذوا أنفسكم من النار
 يعني بالاسلام قال وفي بعض روايات الصحيحين انه عليه السلام دعا قريشا
 فاجتمعوا وقال يا بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار الى أن قال فاني لأملك
 لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله انتهى
 هذه الجملة من قوله لأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا
 الا أن تقولوا لا اله الا الله كل هذه الجملة التي عزاها للصحيحين كذب
 وافتراء منه ليس في الصحيحين منها حرف واحد ما أجزأ هذا على الكذب
 على الله وعلى رسوله وعلى العلماء ثم المعارضة لكلام الله وكلام رسوله
 في مواضع من أوراقه هذه ثم العجب ممن تلقى ذلك كله بالقبول ولم يفتنوا
 لشيء من فضائحه فيا أسنى من غلبة الجهل واستيلاء الهوى وعمى التقليد

على أكثر النفوس فانا لله وانا اليه راجعون ثم كيف يقول الآن تقولوا
لا اله الا الله وهو يقول لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والانصار لا أغنى
عنكم من الله شيئاً لأملك لكم من الله شيئاً أليس هؤلاء هم أهل
لا اله الا الله الذين هم أحق بها وأهلها قال الله تعالى في حقهم وألزمهم كلمة
التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال الله تعالى في حق نبيه ﷺ قل لأملك
لنفسى نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله أى لا أملك لنفسي جلب نفع ولا دفع
ضرراً ما شاء الله ربى من النفع لى ودفع الضرر عنى قل انى لأملك لكم
ضراً ولا رشداً ومن المعلوم يقينا أن من أراد به الله سوءاً من أهل التوحيد
أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره لا يمكن أن يكون دفعه عنه كحال أهل
الكبائر من أهل لا اله الا الله الذين يعذبون في النار حتى تدركهم رحمة
أرحم الراحمين فيأذن في الشفاعة فيهم لمن أراد اكرامه بها ثم انظر الى
قول هذا المفتري ان قوله صلى الله عليه وسلم لابنته وقرايته لا أغنى عنكم
من الله شيئاً اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله ما أجراً هذا على الافتراء على
الرسول وما أقل حياؤه من ارتكاب ما فيه فضيحة أو ليست ابنته صلى
الله عليه وسلم سيدة نساء هذه الامة أو سيدة نساء المؤمنين ثبت ذلك في
الصحيحين أو ليس المهاجرون والانصار الذين قال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم لا أملك لكم من الله شيئاً سادات الامة الذين رضى الله عنهم
ورضوا عنه وهذا يقول المعنى لا أملك لكم من الله شيئاً اذا لم تؤمنوا
بالله ورسوله وأيضاً فقلوه اذا لم تؤمنوا بالله ورسوله استدراك منه على
الرسول ﷺ فهو ﷺ قال لا أملك لكم من الله شيئاً فاطلق ولم
يقيد بشرط الايمان بالله ورسوله ومفهوم الشرط الذى زاده هذا بقوله اذا
لم تؤمنوا بالله ورسوله انه يملك لهم من الله شيئاً اذا آمنوا بالله ورسوله

وهذا منه رد على النبي صلى الله عليه وسلم النبي يقول لسادات المؤمنين لا أملك لكم من الله شيئا وهذا يقول بل يملك من الله شيئا لمن آمن به ثم قال المعارض وكيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئا وقد أنزل الله عليه في حقهم انما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قل وكيف لا يغني عنهم شيئا وهو لما أنزلت عليه هذه الآية جمعهم وجللهم بكسائه وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هل هذا الا اغناء وفائدة لهم بل هو يغني عن كل من آمن به انتهى فانظر قوله كيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئا فهذا منه استفهام انكار فهو ينكر على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا أغني عنكم من الله شيئا ويكرر الخبيث هذه الكلمة مرتين النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا أغني عنكم من الله شيئا وهذا يقول كيف لا يغني عنهم من الله شيئا فهل يستريب من له أدنى نظر أن كلامه هذا رد على الرسول وانكار عليه بل العالمى البليد يفهم هذا ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور وهل في قول الله سبحانه انما يريد الله لينهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفي دعائه صلى الله عليه وسلم لهم معارضة لقوله لا أغني عنكم من الله شيئا ولقول الله سبحانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والا امر يومئذ لله وانما مقصود هذا بتكثير الايرادات التي لا شبهة له فيها الترويج على الجهال وكثرة التسويد في القرطاس مثل كلامه في الشفاعة وذكر بعض ما ورد فيها مع علمه اننا لا ننكر ما ورد في الشفاعة من الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وانظر قوله فهل هذا الا اغناء وفائدة لهم فنقول كل خير دينوى وأخروي حصل لامته عامة ولاهل بيته خاصة من ربهم فعلى يديه صلوات الله وسلامه عليه وهل في هذا معارضة لقوله لا أغني عنكم من الله

شيئا ولقول الله سبحانه قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا يوم لا تملك
 نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله (قال المعترض) بقي أن يقولوا
 قوله يا أكرم الخلق فان هذا عندهم دعاء وهو النداء ولا وجه للتكفير به
 لان النداء اذا كان ضارا وهو دعاء كما يزعمون لزم أن لا ينادى أحد لاجي
 ولا ميت لان كون الشيء الواحد بالنسبة للحي يكون طاعة وللميت والغائب
 يكون عبادة لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا وانما الدعاء الذي هو عبادة فهو
 اتخاذ غير الله ربا والها وهذا لا يقصده أجهل المسامين فضلا عن أكابر
 العلماء والدليل على أن النداء والطلب من الاموات والغائبين ليس بعبادة
 بل هو مأمور به شرعا آيات وأحاديث وآثار وأقوال العلماء الكبار من
 الأئمة الاربعة الاخيار وهذا لفظه قوله فان هذا عندهم دعاء وهو النداء
 يقولهم يسمونه دعاء وليس كما يزعمون وانما هو نداء لادعاء يقول لو كان
 دعاء كما يزعمون لزم أن لا ينادى أحد لاجي ولا ميت وهذا الرجل حين
 واجهني ادعى ذلك فقال الطلب من الاموات والغائبين لا يسمى دعاء بل هو
 نداء وينت له بعض الأدلة وأدعن ظاهرا في هذه المسئلة وغيرها وظنفت
 أن مراده قطع الكلام لا الموافقة فيقال لهذا تفريقك بين الدعاء والنداء
 تفريقا باطلا مخالفا للكتاب والسنة واجاع الامة مع مخالفتك اللغة فقد
 سمى الله سبحانه سؤال عباده له دعاء ونداء قال تعالى عن نوح فدعا
 ربه اني مغلوب فانتصر وقال ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجينا
 وأهله من الكرب العظيم فسماه في موضع دعاء وفي موضع نداء وقال عن
 زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وقال في موضع هنالك دعا زكريا ربه وقال
 عن أيوب وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وأنت أرحم الراجين وقال
 وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات

أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقال صلى الله عليه
 وسلم دعوة أخى ذى النون ما دعا بها مسلم الا استجيب له وقال بعض
 الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم أقریب زبنا فنأجیه أم بعید فنأدیه
 فأنزل الله وإذا سألك عبادى عنى فأنى قریب أجیب دعوة الداع إذا
 دعان وقد سمي الله سبحانه طلب المخلوق من المخلوق واستغاثته به دعاء
 واستغاثته ونداء قال سبحانه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه
 وقال الصحابة قوموا بنا نستغث برسول الله من هذا المنافق وقال تعالى
 ان تدعوهم لا يسمعوا ولا يسمعون دعاءكم فهذا نص فى دعاء المسئلة وقال وان تدعوهم
 لا يسمعوا وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد مثلكم فادعوههم
 فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين قوله فادعوههم أى اطلبوا منهم وقال
 ان تدعوههم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدعوتهم أم أتم صامتون
 فأراد بالدعاء هنا الطلب الذى هو ضد الصمت وقال قل ادعوا شركاءكم ثم
 كيّدون فلا تنظرون أى استعينوا بشركائكم وقال وقيل ادعوا شركاءكم
 أى استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابى فدعوههم فلم يستجيبوا لهم ويوم
 يقول نادوا شركائى الذين زعمتم ليخلصوكم مما أنتم فيه فدعوههم فلم
 يستجيبوا لهم فقال فى موضع ادعوا وفى موضع نادوا وقوله فدعوههم
 صريح فى الطلب منهم وقال وادعوا شهداءكم من دون الله اى استعينوا
 بهم وقالوا وادعوا من استطعتم من دون الله اى استعينوا بهم فسمى
 سبحانه استعانتهم بهم دعاء بل قد سمي الله نعيق الراعى بالبهائم دعاء
 أو نداء فقال ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء
 ونداء فجميع ما قدمنا صريح فى أن سؤال العبد ربه يسمى دعاء ونداء
 وان استغاثه المخلوق بالمخلوق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء وقد قال النحويون

النداء هو الدعاء باحرف مخصوصة وان المنادى منصوب لفظا أو محلا بفعل
 محذوف فقولك يا زيد أى أدعوا زيدا ومن أقسام المنادى المستغاث وهو
 كل من نودى ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة كقول عمر بالله
 المسلمين أى أدعوك للمسلمين فأتضح بطلان قول هذا فى أن طلب
 المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء فهو يقول ان الطلب من
 الملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء لادعاء فما أدري مايقول فيمن
 طلب من العزى ومنلت واللات فان قال ان الطلب منها لا يسمى دعاء بل
 هو نداء وان النداء لا يضر عنده افتضح عند العامة والخاصة وان قال انه
 يسمى دعاء قيل له نقضت أصلك حيث جعلت الطلب من هذه الاوثان
 دعاء ومن غيرها نداء فهذا شىء واحد جعلته بالنسبة الى الاموات والغائبين
 والملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء وبالنسبة الى العزى وغيرها
 من الاوثان دعاء مع انه يلزمه ان لا يسميه دعاء اذا لم يسم مدعوه ربا والها
 لقوله ان الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها اذا تبين بطلان
 قول هذا فالدعاء يكون أيضا أعم من النداء لانه قد يكون بغير حرف نداء
 كقول نوح والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين وقول بنى اسرائيل
 لئن لم يرجنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين وقول السائل أشكو
 الى الله حاجتى أو ذنوبى أو أسأل الله كذا أو أعوذ به من كذا وكل هذا
 يسمى دعاء وسمى النبي ﷺ قول ذى النون لا اله الا أنت سبحانك
 انى كنت من الظالمين دعوة كما تقدم فى الحديث وفى الترمذى كان أكثر
 دعاء النبي ﷺ يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
 وهو على كل شىء قدير وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما كان
 النبي ﷺ يدعوا عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله

العرش العظيم لاله الا الله رب السموات والارض ورب العرش العظيم فسمى
هذا دعاء مع انه ليس فيه التصريح بالسؤال قل شيخ الاسلام تقي الدين
رحمه الله في الكلام على دعوة ذي النون قل فالسائل ثائرة يسأل بصفة
الطلب وثائرة بصيغة الخبر اما بوصف حاله أو حال المسؤل أو بهما وهو
من حسن الادب في السؤال كقول أيوب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين
والسؤال بالحال أبلغ من جهة العلم والبيان وبالطلب أظهر من جهة القصد
والارادة فهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لان السائل يتصور مراده
فيسأله بالمطابقة فان تضمن وصف حال السائل والمسؤل فهو أكمل كقوله
اللهم انى ظلمت نفسى ظلمما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفرلى مغفرة
من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم فيه وصف حال نفسه المقتضى
حاجته الى المغفرة ووصف ربه أنه لا يقدر على هذا غيره وفيه التصريح
بالمطلوب ووصف الرب بما يقتضى الاجابة وهو وصفه بالمغفرة والرحمة فهذا
ونحوه أكمل الانواع انتهى قال ابن كثير وقد يكون السؤال بالاخبار عن
حال السائل واحتياجه قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير وقد
يتقدمه مع ذلك وصف المسؤل كقول ذي النون لاله الا أنت سبحانك
انى كنت من الظالمين وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤل كقول الشاعر
«أذكر حاجتى أم قد كفانى * حباؤك ان شيمتك الحباء
إذا أننى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء
وقول العريض ان الشئ الواحد يكون بالنسبة الى الحى طاعة وليليت
أو الغائب عبادة لم يعهد هذا شرعا ولا عرفا يقال لهذا وهل يوجد شئ
واحد يختلف اسمه باختلاف متعلقه وهو قولك ان سؤال الميت والغائب
لا يسمى دعاء بل نداء وسؤال العبد ربه يسمى دعاء ليس معك على هذا

الا مجرد دعوى باطلة قد ينابطلانها واقتضاحها وقوله فيما بعد بل على
 قولكم ان الطلب نفسه عبادة يقتضى أن لا فرق بين الحياة والمات لان
 العبادة ممنوعة في الحالين انتهى قوله يكون بالنسبة للحى طاعة جعل سؤال
 الحى طاعة وهو كاذب في جعله طاعة لان الله سبحانه لم يأمر مخلوقا قط ان
 يسأل مخلوقا بل قد تواترت الاحاديث عنه عليه السلام في ذم السؤال وبايع عليه السلام
 جماعة من الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئا وفي حديث ابن عباس اذا
 سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله أى اذا سألت فاسأل الله وحده
 واذا استعنت فاستعن بالله وحده وترك سؤال الناس من كمال التوحيد
 وهذا المفتري يقول ان الله يقول سلوا عبادى خصوصا الاموات والغائبين
 واستعينوا بهم ومسئلة الناس قد تكون محرمة وتكون مكروهة وتكون
 جائزة وتسميتها طاعة خطأ وضلال وكذا قوله ولا عرفا خطأ ان العرف
 لا مدخل له في العبادات وأما قوله انه اذا جاز سؤال الحى فالميت كذلك أى
 يجوز سؤاله بل هو يقول انه طاعة لان الله في زعمه أمر به ويقول اذا
 قلتم ان الطلب عبادة يقتضى ان لا فرق بين الحياة والمات وهذه شبهة ربما
 تدخل في نفوس كثير من الناس فيقال أولا ذو الفطرة السليمة وان كان
 جاهلا يفرق بين الطلب من الحى الحاضر مما في يده وبين الطلب من الميت
 أو الغائب ولا يسوى بين الحى والميت الا من اجتالته الشياطين عن الفطرة
 التى فطر الله عليها أو انسان أعماه الهوى والتقليد وقد قال تعالى وما يستوى
 الاحياء ولا الاموات معنى ذلك انه لا يستوى المؤمن والكافر كما لا يستوى
 الحى والميت فلما كان معلوما عند مخاطبين ان الحى والميت لا يستويان يقول
 سبحانه فكذلك المؤمن والكافر فنسوى بين الحى والميت بقوله يطلب
 من الميت ما يطلب من الحى فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما حتى
 المجانين يفرقون بين الحى والميت فلو قصد مجنون نيت انسان ليطلعهم

فوجدته ميتا وأهله عنده ليعمل إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده ولم ينفذ إلى الميت وما يوضح بطلان هذه الشبهة أن الله سبحانه أمر عباده بالاستعاذة به كما في العوذتين ومواضع من القرآن معلومة وكذلك في السنة عن النبي ﷺ من ذلك كثير وفعل العبد ما أمره به ربه أمر إيجاب أو استحباب عبادة له بإجماع العلماء فإذا امتثل العبد أمر ربه فاستعاذ به أو بصفاته فقد عبده والاستعاذة نوع من الدعاء لأن المستعيز يلجئ إلى الله ليدفع عنه ما يجتر واصله إليه مما يكره أو يرفع ما قد وصل إليه من ذلك كما في الحديث أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وهذا حقيقة الدعاء فلما كان مستقرا عند العلماء أن الاستعاذة بالله عبادة له قلوا لا تجوز الاستعاذة بمخلوق فلما كان هذا الأصل مستقرا عندهم استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق لأنه ثبت عن النبي ﷺ الاستعاذة بكلمات الله التامات فعلا منه وقولا وهذا من حجة أهل السنة على الجهمية القائلين بمخلوق القرآن يقولون لو كان القرآن مخلوقا امتنعت الاستعاذة به فعلى ما ذكرنا أن الاستعاذة نوع من الدعاء كما قرره شيخ الإسلام تقي الدين وهو واضح فالعلماء القائلون بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون لا يجوز دعاء المخلوق لأن الاستعاذة دعاء حقيقة لأن المستعيز به يطلب منه دفع مكروه أو رفعه وهذا حقيقة الدعاء قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله فلا استعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها نوع من الدعاء وهي ألفاظ متقاربة وسمى النبي ﷺ الاستعاذة دعاء كما في السنن أن رجلا قال يا رسول الله علمني دعاء أدعوه قال قل اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصرى ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر مني وقال أبو هريرة كان رسول الله ﷺ يدعو يقول اللهم اني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة رواه أبو داود بإسناد صحيح

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها ان النبي ﷺ كان يدعو بهذا
الكلمات اللهم اني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن شر الغناء والفقر
وفي صحيح مسلم كان من دعاء النبي ﷺ اللهم اني أعوذ بك من زوال
نعمتك وتحول عافيتك وشفقة نعمتك وجميع سخطك والمقصود بإيراد
هذه الاحاديث بيان ان الاستعاذة تسمى دعاء في كلام النبي ﷺ وأصحابه
فلما قال العلماء ان الاستعاذة لا تجوز بمخلوق بل هي مختصة بالله سبحانه
لأنها دعاء فهكذا سائر أنواع الدعاء اذا تقرر هذا فن المعلوم بالضرورة انه
لو خاف انسان من عبده له فالتجأ الى محي حاضر ليخبره من عبده لم يكن
بهذا بأس عند جميع السامعين وليس بداخل تحت قول العلماء ان الاستعاذة
لا تجوز بمخلوق فهذا شيء واحد اختلف حكمه باختلاف متعلقه فبالنسبة
للحي الحاضر جائز وبالنسبة لغيره ممتنع فكذلك دعاء غير الله بطلب قضاء
الحاجات لا يجوز لقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا ولا يدخل في هذا
النهي طلب الانسان حاجة من حي حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر ويقال
أيضا لهذا المساوي بين الحي والميت لو أعطى انسان آخر مالا وقال أودعه
عند ثقة فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر
وقال هذا ودیعة عندك لفلان واستحفظه اياه فضاع لعدو الناس مجنوننا
جنونا لا يرفع التكليف والزموه بالضمين ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي
والميت أن يقول هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه وربما انه لا يلزم هذا
خوفا من الفضيحة عند الناس وحيث يقول له الوكيل في الايداع انا ما فرطت
على مذهبك في التسوية بين الحي والميت لانك تقول ما جار طلبه من الحي
جاز طلبه من الميت وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الودیعة
وهي حاجتي عنده وأنت تجوز طلب الحاجات من الاموات فكيف تحظني

وعما يوضح بطلان شبهته ما لو خرج شخصان من بينهما قصد أحدهما رجلا حيا غنيا وقال أشكو اليك الجوع وقصد الآخر هبل وقال يا هبل أشكو اليك الجوع هل يستوى الشخصان عند جاهل فضلا عن عالم فهذا شيء واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة فبالنسبة الى هبل شرك وبالنسبة الى الرجل الحى الحاضر الفنى جائز لا يتوقف فى هذا عاقل وعلى مذهب هذا الضال فى قوله ان الطلب من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء فلا يضر عنده نداء الطالب من هبل ونحوه لانه يقول ان الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا وانما فصرح كلامه انه لو استغاث بالعزى أو منات أو اللات ونحوها ان ذلك لا يضر لانه ليس بعبادة عنده ما لم يسم من دعاء أو استغاث به ربا وانما (ومن الفرق) بين الحى والميت ان الاستغاثه بالميت انما تكون فى الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية فى قتال أو ادراك عدو ونحو ذلك بحسب الاسباب الظاهرة بالفعل وأما الميت فحركته منقطعة وانما يزعم الذين يدهونهم ان نفهم بالقوة والتأثير الذى يسميه بعضهم السر ولا ينك عاقل فى انقطاع الحركة من الميت المعهودة من الحى فان قيل هذه الاوثان المعروفة للشركيين جاد كاللات ومنات والعزى والمقبور انسان فما الجماع بينهما قلنا نصوص القرآن فى النهى عن دعوة غير الله عامة فى كل من دعا من دون الله ما لا يضر ولا ينفع قال تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقال فلا تدعوا مع الله أحدا وقال قل أئذعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض الآية وقال ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون قال البيضاوى على هذه الآية هذا انسكر

أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر
 الخير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا عن أن يعلم
 سرأثرهم ويراعى مصالحهم وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جلدات
 واما عباد مسخرون مشغولون بأحوالهم وقال تعالى والذين تدعون من
 دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا
 ما استجابوا لكم والذم انما توجه الى دعاء من هذه صفته سواء كان بشرا
 أو ملكا أو صنما وهو من لا ينفع من دعاء ولا يضر من لم يدعه ومن دعا
 من لا يسمع دعاءه أو ولو سمعه ما استجاب له لاستخالة الاجابة منه وهذه
 صفة الميت وقال سبحانه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
 ولا أنفهم ينصرون وهذه أيضا صفة الميت ومن المعلوم ان المشركين
 يعبدون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن ويعبدون اللات وهو رجل
 صالح في قول ابن عباس ومجاهد ويعبدون الاصنام المصورة في زعمهم على
 صورة من يقصدونه كفعل قوم نوح في تصويرهم على صور الذين ذكروهم
 الله في سورة نوح قال تعالى فيمن يعبد الملائكة ويوم يحشرهم جميعا
 ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون وقالوا لا بل الملائكة الذين
 لهم عباد الرحمن اننا الى ان قال وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فهذا صريح
 في أنهم يعبدون الملائكة وما قاله الصحابة والتابعون في سورة نبي اسرائيل
 والمراد بذلك بطلان ما لو قال جاهل أنهم انما يعبدون الاصنام فقط وقال
 ابن القيم بعد كلام سبق ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب
 أصناما زعموا انها على صورتها فوضع الصنم انما كان في الاصل على شكل
 معبود غائب فجعلوا الصنم على صورته وشكله وهيأته ليكون نائبا منابه
 وقائما مقامه والا فمّن المعلوم ان عاقلا لا ينحت خشبة أو حجرا بيده ثم يعتقد

انه اله ومعبوده ومن أسباب عبادتها أيضا ان الشياطين تدخل فيها وتخطبهم
منها وتجبرهم ببعض الغيبات وتدخلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون
الشياطين انتهى والمقصود بيان ان عباد الاصنام انما قصدوا عبادة من
صوروا الصنم على صورته من ملك أو نبي أو صالح أو كوكب فكل ما في
القرآن من النهي عن دعاء غير الله والانكار على من دعا غيره يتناول كل
معبود للمشركين من نبي وملك وبشر حي أو ميت أو صنم يوضح ذلك
قول الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه أى ادعوه فيما يهمكم
من جلب نفع أو دفع ضرر لعلهم يستجيبون لكم ان صحت دعواكم فلا
يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أى لا يملكون كشف الضر بالكلية
ولا تحويله من موضع الى غيره ولا تغيير صفته وقد قال المفسرون من
الصحابة والتابعين ان هذه الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة وعيسى وأمه
وعزيرا وفيمن يعبد الجن وهؤلاء غائبون أحياء وفيهم من هو ميت
فكل من دعا ميتا أو غائبا تناولته الآية وقال تعالى ولا تدع من دون
الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وأما الطلب
من الحى الحاضر مما يدخل تحت قدرة البشر فليس مرادا بالنهي ولا يمنع
منه قال الله تعالى فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وقال
وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر وقال الصحابة قوموا بنا نستغيث
برسول الله ﷺ من هذا المنافق وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
فمن ساوى بين الاحياء والاموات فى ذلك بقوله ما جاز طلبه من الحى جاز
طلبه من الميت فقد جمع بين ما فرق الله بينه وضملا بعيدا ويقال
لهذا المساوى بين الاحياء والاموات من المعلوم ان أهل الدنيا يستقضون
حوائج بعضهم من بعض برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم وقد استعار النبي

ﷺ ادراعا من صفوان بن أمية وهو مشرك واستعان في بعض غزواته
 بأناس من المشركين وما زال المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذي
 والبر والفاجر فيلزم المساوي بين الأحياء والأموات أن يساوي بين أموات
 المذكورين كما كانوا في الدنيا كذلك فإن قل طلب الحاجات مختص بموتى
 الصالحين فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق قيل له نقصت أحلك
 حيث فرقت بين أحياء هؤلاء وأمواتهم فإن قال موتى الصالحين أحياء
 في قبورهم كما زعم فهو كاذب في ذلك لم يرد في ذلك حديث إلا ما أخبر الله
 عن حياة الشهداء مع أن حياتهم لا تدرك بالحس ولا بالعقل فالله سبحانه
 أعلم بحقيقتها وأما سوى الشهداء غير الأنبياء فلم يأت خبر عن الرسول
 أنهم أحياء في قبورهم وإنما هو افتراء وكذب من هذا الضال فإن قال إن
 صالحى الأموات ينعمون في البرزخ قيل له وضدهم يعذبون فيدركون
 العذاب كما يدرك الصالح النعيم وهذا ادراك واحساس لا يعلم حقيقته إلا الله
 والحاصل أن من سوى بين الحى والميت في استقضاء الحوائج فقد ضل في عقله
 ودينه ونصوص القرآن كثيرة في إبطال هذا القول والله سبحانه جعل
 أهل الدنيا فيها وخولهم ما ملكهم فيها ولا ينم أمرهم إلا بمعاونة بعضهم
 بعضا ولم يحجر عليهم سبحانه التعاون والتناصر فيما لا يسيئهم والله في عون
 العبد ما كان العبد في عون أخيه يوضح ذلك أن دعاء الإنسان للمسلمين
 أو استغفاره لهم وقضاء حوائجهم ومعاونتهم عليها من الأعمال الصالحة المرغب
 فيها فلو كان هذا يحصل من الميت لم يكن عملة قد انقطع وقد ثبت في صحيح
 مسلم عن النبي ﷺ قال إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة
 جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له فدل على أن هذه
 الأشياء التي يطلبها المشركون من الأموات من قضاء حوائجهم أو الدعاء لهم
 ونحو ذلك التي هي أعمال صالحة من الحى قد استحال وجودها من الميت

فطلبها منه مستحيل لعجزه . حسا فلا يملك لنفسه ولا لغيره نقما ولا ضرا
 ولا حياة ولا نبورا فهو داخل تحت قوله ومن أضل ممن يدعو من دون
 الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غفلون ولا تدع
 من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك والنبى صلى الله عليه وسلم فرق
 بين الحى والميت فى الحديث المتقدم آنفا كما فرق الله بينهما فى مثل قوله
 وما يستوى الاحياء ولا الاموات وجميع العقلاء بل والمجانين كما قدمنا
 يفرقون بين الحى والميت فالميت لا يستجيب لداعيه ولا يسمع دعاءه ولو
 فرض سماعه فهو عاجز لا ينفع من دعاه كداعى الجادات قال تعالى والذين
 تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
 ولو سمعوا ما استجابوا لكم فالتصفت بعدم سماع الدعاء وعدم الاستجابة أو
 المتصف باحدهما ممتنع دعاءه شرعا وعقلا تقنوله هذه الآيات ونحوها من
 آى القرآن فان قيل وردت الآثار بسماع الميت قلنا لم تدل على انه يسمع
 كل كلام قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله ووردت الآثار بأن الميت
 يسمع لكن لا تدل على انه يسمع كل كلام قال ابن عبد البر صح عن النبى
 ﷺ انه قال ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا الا رد الله عليه
 روحه حتى يرد عليه السلام فهذا وغيره يدل على ان روح الميت ليست
 دائما فى قبره وان لها اتصالا به لا يعلم حقيقته الا الله واعتبر هذا بسرعة
 نزول الملك وروح النائم وشعاع الشمس ونحوه وقد أخبر النبى ﷺ عن
 صفة حياة الشهداء بما فى صحيح مسلم عن ابن مسعود لما سئل عن ذلك
 فقال انا سألتنا عن ذلك فقال ارواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل
 معلقة بالعرش فتسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل
 الحديث ففسر حياتهم بذلك وثبت فى الحديث الذى رواه مالك فى الموطأ
 عن كعب بن مالك ان النبى ﷺ قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر

الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه ورواه الترمذى وصححه فهذا يدل على ان روح المؤمن في الجنة وتدل الآثار على ان لها اتصالا به في القبر لا يعلم حقيقته الا الله قوله يعلق روى بفتح اللام والضم والمعنى واحد وهو الاكل والرعى يقول يأكل من ثمار الجنة ويرعى ويسرح بين أشجارها وسيأتى لذلك زيادة بيان ان شاء الله وانما المقصود هنا بيان بطلان قوله في نسوته بين الحى والميت وتجوزة الطلب من الميت ما يطلب من الحى وان ذلك لا يسمى دعاء قال وانما الدعاء الذى هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها وقد بينا فيما تقدم بطلان قوله ان ذلك لا يسمى دعاء وأما كونه يسمى عبادة فقد تقدم ما يدل على ذلك وسيأتى لذلك زيادة ايضاح ان شاء الله تعالى وما يوضح ذلك معرفة حد العبادة في الشرع وانها كل ما أمر الله به ورسوله أمر ايجاب أو استحباب فهو عبادة وبعض العلماء يقول العبادة هي الطاعة فيتناول فعل المأمور وترك المحذور وما أمر الله به سبحانه دعاؤه وسؤاله قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه الله لا يجب المعتدين الى قوله وادعوه خوفا وطمعا وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال واذا سألك عبادى عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وقال واسألوا الله من فضله وقال فابتغوا عند الله الرزق أي لا عند غيره لان تقديم المعمول يفيد الاختصاص عند البيانين وفي حديث نزول الرب الى السماء الدنيا من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي السنة من ذلك ما لا يحصى فاذا امتثل العبد أمر ربه فدعاء مخلصا صار ذلك عبادة منه لربه فاذا دعا غيره فقد عبد ذلك الغير وفي السنن عن النبي ﷺ الدعاء هو العبادة وفي الحديث الآخر الدعاء مخ العبادة فسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة

قال دعاء في نفسه عبادة فكل مدعو معبود وما أدري ما يقول هذا الرجل
 في دعاء العبد ربه واستغاثته به هل هو عبادة أم لا فان قال ليس بعبادة
 فهذا مكابرة يعرفه كل عاقل ومخالفة للكتاب والسنة واجماع الامة وان أقر
 انه عبادة من العبد لربه قيل له هل تجد شيئا واحدا يكون بالنسبة الى الله
 عبادة وغير عبادة بالنسبة الى غيره فيظهر حينئذ بطلان شبهته التي اعتمدها
 في حوله انه لا يوجد شيء واحد يكون بالنسبة للحى طاعة ولبت عبادة وان
 هذا لا يوجد شرعا ولا عرفا وهذا الرجل لما قرر ان الطلب من الاموات
 والغائبين والاستغاثه بهم جائز بل يقول هو قرينة كما يأتي في احتجاجة
 بالآية ثم قال وانما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها فخصر
 الدعاء الذي هو عبادة في تسمية المدعو ربا والها لانه يقول ان مجرد
 الطلب لا يضر مقتضى اطلاقه وان كان المطلوب منه صنأ أو شجرا أو حجرا
 وان طلب منه مغفرة الذنوب وهداية القلوب وازال الغيث وشفاء المرضى
 فان هذا لا يضر عنده اذ لم يرسمه أو يعتقد ربا والها وهذا الرجل لما اجتمع
 في قبل تسويده هذا بنحو ثمان سنين ومعه ورقة نقل فيها عبارات لشيخ
 الاسلام رجه الله يشبه بها على بعض الناس فأحضرتة وبخشتة واذا هو
 في هذا الاصل العظيم جاهل جهلا مركبا ومعاند واحد في العلتين في المرء
 تهلكه وقلت له أخبرني ما حقيقة هذا الشرك الذي لا يغفر وصاحبه محمدا
 في النار فقال الشرك السجود لغير الله لا غير فأوردت عليه بعض الأدلة
 فهت وأحب قطع الكلام بالموافقة ظاهرا وكتبت على ورقته التي معه
 أوراقا سماها بعض الطلبة بالاتصار وما زال من ذلك الوقت يدأب ويبحث
 في تحصيل ما جمعه في هذه الاوراق التي اطلعنا عليها وقوله ان أجهل المسلمين
 لا يسمى غير الله ربا والها ولا يقصد ذلك فيقال التسمية لاحكم لها ولا

تغيير حقيقة الشيء بتغيير الاسم كما جاء عنه عليه السلام انه يأتي ناس من أمثي
يسمون الخمر بغير اسمها وكذا من سمي الزنا نكاحا فالسمية لانزِيل الاسم
ولا الحكم ومن عمل معاملة ربوية فهو مرابي وان لم يسمه ربا فكذا
من ارتكب شيئا من الامور الشركية فهو مشرك وان سمي ذلك توسلا
أو تشفعا ونحوه والشیطان لما علم ان النفوس تنفر من تسمية ما يفعله
المشركون تألها أخرجه في قالب آخر فقبله النفوس وما يفضح هذا في قوله
ان طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل هو نداء وانما الدعاء الذي
هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها فعلى قوله ان من نادى ابليس
وطلب منه قضاء حاجاته وكشف كربات مع كونه لا يسميه ربا ولا الها بل
يقول أنا أبغضه ولكن أطلب منه حوائجي واستنصر به على عدوى لانه
يقوى على ما لا يقوى عليه البشر ولا يضرنى ذلك على مذهب الشيخ
داود لاني لا أسمى الشيطان ربا ولا الها ولا أعتقد ذلك فيه فعلى مذهب
الباطل ان هذا جائز يحقق ذلك ان كل أحد يعترف بان عبادة غير الله
شرك وقد قدمنا تعريف العبادة فن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله
فقد أشركوا ان كان لا يظنه شركا ولا تألها وسماه بأي اسم شاء فالمشرك مشرك
شاء أم أبي كما ان المرابي مرابي شاء أم أبي يوضح ذلك ان من أطاع مخلوقا
في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذ ربا والها من دون
الله قال الله تعالى اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح
ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وروى الامام أحمد والترمذي وغيرهما ان عدى بن حاتم قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم وكان قد تنصر في الجاهلية فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية
اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الآية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انهم لم

يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم
فذلك عبادتهم اياهم وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه
الآية انهم اتبعوهم فيما حللوا وقال الربيع بن أنس قلت لأبي العالية كيف
كانت تلك الربوية في بني اسرائيل قال كانت الربوية انهم وجدوا في
كتاب الله ما أسروا به ومانهوا عنه فقلوا لن نسبق أخبارنا بشيء فأسرونا
به اتهمنا عنه اتهمنا لقولهم فاستنصحووا الرجال ونبدوا كتاب
الله وراء ظهورهم وقال أبو البحتري أما انهم لم يصلوا لهم ولو أسروهم ان
يعبدوهم ما أطاعوهم ولكن أسروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله
فأطاعوهم فكانت تلك الربوية انتهى فهو لاء الذين أخبر الله عنهم في
هذه الآية لم يسموا أخبارهم وزهبا انهم أربابا ولا آلهة ولا كانوا يظنون
ان فعلهم هذا معهم عبادة لهم ولهذا قال عدى انهم لم يعبدوهم والشيء
تابع لحقيقته لاسمه ولا لاعتقاد فاعله فهو لاء كانوا يعتقدون ان طاعتهم
لهم في ذلك ليس بعبادة لهم فلم يكن ذلك عنرا لهم ولا مزيلا لاسم فعلهم
ولاحقيقته وحكمه فكذلك ما يفعله عباد القبور في سؤا لهم من المقبورين
قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذور والذبايح عبادة منهم
للقبورين وان كانوا لا يسمونه ولا يظنونه عبادة ويوضح ذلك أيضا ما روى
الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى
حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدره يعكفون عندها وينوطون
بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فررنا بسدره فقلنا يا رسول الله اجعل
لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ انها السنن قلتم
والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا اها كما لهم آلهة
قال انكم قوم تجهلون لتبعن سنن من كان قبلكم فهو لاء لقرب عهدهم

بالكفر ما كانوا يظنون أن الذي طلبوه من التآله لغير الله لانهم يقولون
 لا اله الا الله ويعرفون معناها وخفي عليهم ان ذلك الذي طلبوه مما تنفيه
 لا اله الا الله فلم يكن ظنهم مغير الحقيقة هذا الامر وحكمه ومن له معرفة
 بما بعث الله به رسوله علم ان ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة
 بهم والذبح والنذر لم أعظم وأكبر من فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
 أربابا من دون الله وأقبح من الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لم ذات
 أنواط قال ابن القيم رحمه الله فاذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة
 والعكوف عليها اتخاذا له مع الله مع انهم لا يعبدونها ولا يسألونها لما اظن
 بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده فاي نسبة للفتنة بشجرة
 الى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون وقد قال الله تعالى
 ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
 عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب
 الى قوله مساحون روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس
 قال قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت اليهود والنصارى من أهل نجران
 عند النبي ﷺ ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد منا أن نعبدك كما نعبد
 النصارى عيسى بن مريم وقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له
 الرئيس أو تريد ذلك منا يا محمد فقال رسول الله ﷺ معاذ الله أن نعبد
 غير الله أو ان نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأتزل
 الله في ذلك من قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
 ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله الى قوله مساحون فيبين سبحانه
 وتعالى ان من عبد الملائكة والنبين فقد اتخذهم أربابا من دون الله
 وأنه يكفر بذلك وان لم يعتقه ربوبية أو يسمه ربا وان من أمر بعبادتهم
 فقد أمر باتخاذهم أربابا من دون الله فكيف بمن هو دوتهم وهذا الذي

يقول ان الله أمر عباده المؤمنين أن يطلبوا حوائجهم من الاموات والغائبين
 ويقول بجواز الذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادات غير السجود
 لهم لانه حين كلمته قال ان الممنوع منه السجود لليت فقط حقيقة قوله
 ان الله سبحانه أمر عباده أن يتخذوا أهل القبور أرباباً من دون الله
 وان تبرأ من ذلك فهو حقيقة دعواه قوله والدليل على ان النداء والطلب
 من الاموات والغائبين ليس بعبادة بل هو مأمور به شرعاً آيات وأحاديث
 وآثار قال الدليل الاول قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
 اليه الوسيلة فالعجب من هذا الملاحد لم يقتصر على الجواز بل ادعى ان الله
 أمر عباده المؤمنين بذلك ولعله يرى ان الامر فيما فهمه من الآية للوجوب
 لان الاصل في الامر الوجوب مالم يوجد دليل يصرفه الى الاستحباب
 وبكل حال فهو يقول ان الله أمر عباده المؤمنين أن يفرعوا الى الاموات
 في قضاء ما ربههم وكشف شدائدهم سواء قال ان الامر للايجاب أو
 للاستحباب ومقتضى كلامه العموم في جميع الاموات صالحهم وطالحهم مأجراً
 هذا على الكذب على الله والاحاد في آيات الله بوضعها على غير ما أراد
 الله قال الله تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا قال ابن عباس
 يلحدون في آياتنا يضعون الكلام على غير مواضعه قال الله تعالى فمن
 أظلم ممن افترى على الله الكذب ليزلل الناس بغير علم فعلى قول هذا ان
 الله يحب من عباده أن يطلبوا حوائجهم من الاموات والغائبين وانه يشفي
 الاكثار من ذلك والالحاح في الطلب منهم لان الله يحب المالحين في الدعاء
 ويقتضى أيضاً أن يستكثر الانسان من المدعوين المطالوين ويعلق قلبه
 ورجاءه بالكثير منهم بحيث يقول لو لم يجبني بعض اجابتي الآخرون فيصير
 الاستكثار أوثق عنده واحب الى الله في زعم هذا الضال فيا سبحان الله
 أغرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وظاهر كلامه في اطلاقه انه

يطلب من الاموات والغائبين كل شيء وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية
 رحمه الله من جوز أن يطلب من المخلوق كل ما يطلب من الخالق من كشف
 الشدائد فكفره شر من كفر عباد الاصنام فانهم لا يطلبون منها كل ما يطلب
 من الله كما قال تعالى قل أرايتم ان اناكم عذاب الله أو أنتم الساعة
 أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون
 اليه ان شاء وتدنسون ما تشركون فيبين سبحانه انه اذا جاء عذاب الله أو
 أتت الساعة لا يطلبون الا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد وقال واذا
 مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه قال وقد وقع في كثير من
 ذلك من وقع من العامة وغيرهم انتهى واقتراء هذا الرجل على الله أعظم
 من افتراء الذين أخبر الله عنهم بقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
 آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء نزلت هذه الآية في الذين
 يطوفون بالبيت عراة اتبعوا في ذلك آباءهم ويزعمون انه مستند الى أمر
 الله فقال تعالى مكنذباً لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء أقولون على الله
 مالا تعلمون وهذا يقول ان الله أمر بدعاء الاموات والغائبين ووجدنا
 الناس على هذا غيركم وهذا الامر الذي ادعى ان الله أمر به مما بعث
 الله الرسل من أولهم الى آخرهم ينهون عنه قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة
 رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وما أرسلنا من قبلك من رسول
 الا نوحي اليه أن لا اله الا أنا فاعبدون والآيات في هذا كثيرة معلومة والدعاء
 من أجل العبادات كما في الحديث المرفوع الدعاء مخ العبادة قالوا معناه خالص
 العبادة لان الداعي انما يدعو عند انقطاع أمله مما سوى الله وهذا حقيقة
 التوحيد والاخلاص وفي الحديث الآخرون الدعاء هو العبادة وفي الحديث
 الآخرون الله يحب الملحين في الدعاء وفي حديث آخر من لم يسأل الله يغضب
 عليه وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء

الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له قد ذكر أولاً لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع فعطف السؤال والاستغفار على الدعاء من عطف الخاص على العام الذي يتناولها وغيرها قاله شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله تعالى والله سبحانه أمر بدعائه في كتابه في مواضع والنبي ﷺ كان يكثر من دعاء الله واستغفاره وأمر بذلك في أحاديث كثيرة وقال تعالى اياك نعبد واياك نستعين قال ابن عباس اياك نعبد أى اياك نوحده ونخاف ونرجو ياربنا لاغيرك واياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها وقال قتادة يأمركم ربكم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم كلها وتقديم المعمول في الكلمتين يفيد الحصر والاختصاص عند البيهقيين وجميع المفسرين قال القاري لما ذكر الحقيق بالحد وصفه بصفات عظام يتميز بها عن سائر المخلوقين وتعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات خوطب الموصوف بتلك الصفات ف قيل اياك يا من هذه صفاته نعبد واياك نستعين لاغيرك قال ابن القيم رحمه الله تعالى وسر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى هاتين الكلمتين وعليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والانجيل والقرآن وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن وجمع معاني القرآن في المفصل وجمع معاني المفصل في الفاتحة وجمع معاني الفاتحة في اياك نعبد واياك نستعين وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين فنصفها له وهو اياك نعبد ونصفها للعبد وهو اياك نستعين انتهى فالتة سبحانه فرض على العباد أن يعبدوه وحده وأن يستعينوا به وحده وهذا الملحد المقتري على الله الكذب يقول ان الله يأمركم أن تستعينوا بالاموات والغائبين وترغبوا

اليهم في مهماتهم ما أعظم هذه المحادة لله وقد قال تعالى والى ربك فارغب
 أى ارجع اليه لا الى غيره وقال النبي ﷺ اذا سألت فاسأل الله واذا
 استعنت فاستعن بالله وقد قررنا فيما تقدم تعريف العبادة وان كل ما أمر
 الله به ورسوله أمر ايجاب أو استحباب فهو عبادة فاذا دعوت الله فقد
 عبدته فاذا دعوت غيره من ميت أو غائب أو حجر أو شجر فقد عبدت
 ذلك الغير فاذا سجدت لله فقد عبدته فاذا سجدت لغيره صرت عابداً لذلك
 الغير فاذا ذبحت لله فقد عبدته فاذا ذبحت لغيره صرت عابداً له وهكذا سائر
 للعبادات هذا مع ان نصوص القرآن في النهي عن دعاء غير الله ونظم من
 فعل ذلك والانكار عليه أكثر من النهي عن خاصية السجود لغيره كما هو
 معلوم عند الخاصة والعامة قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه الله في الكلام
 على دعوة ذي النون لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول دعاء العبادة
 ودعاء المسئلة وفسر قوله سبحانه ادعوني استجب لكم بهذا وهذا وقال
 ابن القيم في بدائع الفوائد بعد آيات ذكرها وهذا في القرآن كثير بين
 ان المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء
 المسئلة ويدعى رجاء وخوف دعاء العبادة فاعلم أن النوعين متلازمان فكل
 دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة الى
 ان قال وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ولا استعمال
 اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعمال في حقيقته الواحدة المتضمنة
 لآخرين جميعا انتهى فعلى هذا فنهى سبحانه عن دعاء غيره نص في دعاء
 العبادة ودعاء المسئلة حقيقة فهو نهى عن كل واحد منهما حقيقة قال تعالى
 والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير فهذا يتناول نوعي الدعاء
 ثم قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم فهذا صريح في دعاء المسئلة ولهذا قال
 ولو سمعوا ما استجابوا لكم ومن لا يسمع دعاء من دعاه ليس باهل لان يدعى

ومن لا يستجيب له لموسمه لا يستحق أن يدعى وهذه حال الميت لا يسمع
دعاء من دناؤه ولو فرض أنه يسمعه لم يستجب له لعجزه فقوله سبحانه
والذين تدعون من دونه ما يكون من قطمير الآتين تناول كل ما يدعوه
المشركون من دون الله ومعلوم أنهم يدعون الملائكة والمسبح وأمه وعزير
والجن واللاب وغيرهم وبعض من يدعونه ميت يدخل في العموم فإن قيل
إن الميت يسمع فلما تقدم أنه لم يثبت أنه يسمع كل كلام فقوله **وَالَّذِينَ**
يَدْعُونَ مسلم مسلم على الأبد الله على زوجه حتى أورد عليه السلام وكذلك
الخدمت الذي تقدم مامن مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم
عليه الأبد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام يدل على أن رد الروح
يحصل حين السلام وقال الله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا إلى قوله محسنورا قل شيخ
الاسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الآية
لما ذكر أن من السلف من ذكر أن المراد بهم الملائكة ومنهم من ذكر
معهم الإنس كالسبح وأمه وعزير ومنهم من ذكر أنهم من الجن قال أن
السلف يذكرون جنس المراد من الآية على التمثيل كما يقول الترجمان ابن
سأله عن لفظ الخبز فيريد رغيفا والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى
من دون الله فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين سواء كان
بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما هي تناول من دعا الملائكة
والجن ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم ومع هذا
فقد نهى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا
تحويلا لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ومن حال إلى
حال كتغيير صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويلا قد كرر نكرة نعم أنواع
النحوين وقال تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن

فزادوهم رهقا كلن أحدهم اذا نزل واديا قال أعوذ بعظيم هذا الوادي من
سفهاه فقالت الجن الانس تستعبد بنا فازدادوا رهقا وقد نص الائمة كاجد
وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق وهذا عما استدلوا به على أن كلام
الله غير مخلوق لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك فاذا
كان لا يجوز ذلك فان لا يجوز أن يقال أنت خير معاذ يستعاذ به أولى
فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب وهي ألفاظ
مقاربة انتهى وقد قدمنا بعض الاحاديث التي فيها تسمية الاستعاذة دعاء
ولهذا كان الائمة المصنفون يدخلون احاديث الاستغاثة في أثناء كتاب الدعوات
كما حكي الصحيحين وغيرهما لان الاستعاذة عندهم دعاء حقيقة وهذا
ظاهر فقول الانسان أعوذ بفلان من كذا أو أسأله أن يدفع عني أو يرفع
عني كذا فهو في الحالتين سائل طالب داع فانظر الى قوله رحمه الله فكل
من دعا ميتا أو غائبا تناولته هذه الآية وهو ظاهر لان هؤلاء غائبون
كل الملائكة والمسيح وغائب الملائكة أقرب من غائب البشر ويقدرون على
ما لا يقدر عليه البشر وهم يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم وعن أريد
بالآية من هو ميت كريم وعزير ومن المعلوم يقينا ان أموات البشر وغائبهم
لا يملكون كشف الضر عن دعاهم ولا تحويله من حال الى حال فالآية
تناولهم قطعا فيقال لداعيهم أدعهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا وقال ابن القيم في المدايح ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من
الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم فان الميت قد
انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء
حاجته أو سأله أن يشفع له الى الله فيها والميت محتاج لمن يدعو له ويترحم
عليه ويستغفر له كما أو صا النبي صلى الله عليه وسلم اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم

ونسأل الله لها العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقصاء الخواصج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد وسموا قاصدها حجا فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئا بدمهم وعيهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وانهم أمروهم به وانهم يوالونهم عليه وهؤلاء أعداء الرسل وأهل التوحيد في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم وما نجا من شرك هذا الشرك الا كبر الا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده بخر دحبه وخوفه لله ورجاه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانت به بالله اذا سأل سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله وقال في موضع آخر وهكذا قول عباد المسيح للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ان المسيح عبد قالوا تنقصت المسيح وعيبته وهكذا اشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثانا تعبد ومساجد وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن الله فيه ورسوله قالوا تنقصت أصحابها فانظر إلى هذا القشابه بين قلوبهم حتى كانوا قد تواصوا به ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا وقد قطع الله سبحانه في كتابه الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا يعلم من تأمله وعرفه ان من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون فقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا

لمن أذن له فالمشرك أعماية اتخذ معجودة لما يحصل له به من النفع والنفع لا يكون
 الا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الاربع اما مالك لما يريد عبده منه فان لم
 يكن مالكا كان شريكا فان لم يكن شريكا كان معينا له وظهيرا فان لم يكن
 معينا ولا ظهيرا كان شقيقا عنده فنفى سبحانه المراتب الاربع تقيما مرتبا
 منتقلا من الاعلى الى ما دونه فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي
 يظنها المشرك واثبت شفاعة لانصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بآذنه وكفى
 بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجريدا للتوجيه وقطعا لاصول الشرك
 وموارد لمن عقلها والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس
 لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا
 من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم
 القرآن ولعمري ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلمهم وشرك
 منهم ودونهم وتنازل القرآن لهم كتناول أولئك ولكن الامر كما قال عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ
 في الاسلام من لم يعرف الجاهلية وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك
 وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره ردعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف
 انه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه وتنقض
 بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة
 والسنة بدعة ويكفر الانسان بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويدع
 بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي
 يرى ذلك عيانا والله المستعان هذا كلامه رحمه الله في زمانه فكيف لو أدرك
 هذا الزمان فانا لله وانا اليه راجعون وقال ابن القيم أيضا قال شيخنا وهذه
 الامور المبتدعة عند القبور مراتب أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت

حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس قال وهؤلاء من جنس
 عباد الاصنام ولهذا قد يتصل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما
 يتمثل لعباد الاصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب
 يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل لهم الشيطان أحيانا وقد يخاطبه ببعض
 الامور الغائبة وكذا السجود للقبر والتسبح به وتقبيله المرتبة الثانية ان
 يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين
 الثالثة أنه يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء
 في المشاهد فيقصد زيارته والصلاة عنده لاجل طلب حوائجه فهذا أيضا
 من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعا
 بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم
 قبر فلان الترياق المجرب وللحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء
 عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهراتهي قال ابن القيم ورأيت لابي الوفاء
 ابن عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بانه قال لما صعبت التكليف على
 الجبال والطعام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت
 عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الاوضاع
 مثل تعظيم القبور واكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد التيزان وتقبيلها
 وتحليقها وخطاب الموقى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا
 وكذا وأخذ تربتها تبركا وافاضة الطيب على القبور وشد الرخال اليها واقفاء
 الحرق على الشجر اقتداء بمن عبدالات والعزى انتهى المقصود منه وقال
 شيخ الاسلام وقد سئل عن رجلين تنازعا فقال أحدهما لا بد لنا من واسطة
 بيننا وبين الله فانا لا نقدر أن نصل اليه الا بذلك فاجاب رجه الله تعالى
 بقوله ان أراد بذلك انه لا بد لنا من واسطة تبليغنا أمر الله فهذا حق فان
 الخلق لا يعلمون ما يحبه الله وبرضاه وما يأمر به وما ينهى عنه الا بواسطة

الرسل الذين أرسلهم الله الى عباده وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين
 واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم
 الرسل الذين يبلغون عن الله أو امره ونواهييه قال الله تعالى الله يصطفى
 من الملائكة رسلا ومن الناس ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر
 باجماع أهل الملل وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد
 بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكونوا واسطة
 في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه فهذا
 من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله
 أولياء وشفعاء يحتجبون بهم المنافع ودفع المضار فن جعل الملائكة والانبيا
 وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن
 يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات
 فهو كافر باجماع المسلمين الى أن قال فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه
 كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون
 الى الله حوائج خلقه وإن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم
 بتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط يسألون
 الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا
 سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم
 أقرب الى الملك من العباد فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر
 مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب والاقتل وهؤلاء مشبهون بشهوات الخلق
 بالخلق وجعلوا لله أندادا وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه
 الفتوى فإن هذا دين المشركين عباد الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء
 والصالحين وانها وسائل يتقربون بها الى الله انتهى ملخصا وقال شيخ
 الاسلام رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج قال فاذا كان

في زمان النبي ﷺ من قد سرق من الاسلام مع عبادته العظيمة فليعلم
 ان المنقصب الى الاسلام في هذا الزمان قد يغرق أيضا وذلك بأمر منها
 الغلو الذي ذمه الله كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدى بل الغلو في على
 ابن أبي طالب بل الغلو في المسيح فكل من غلا في نبي أو رجل صالح
 وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعو من دون الله بأن يقول ياسيدي
 فلان أغثنى أو اجبرني أو توكلت عليك أو أنا في حسابك فكل هذا شرك
 وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله أرسل الرسل وأنزل
 الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه اله آخر والذين يجعلون مع الله آلهة
 أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو صورهم لم يكونوا يقولون
 انها تخلق وترزق وانما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
 فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دون الله لادعاء عبادة ولادعاء
 استعانة انتهى ونصوص القرآن كثيرة مصرة بان المشركين في الشدائد
 يفسون آلهتهم من الملائكة والبشر وغيرهم ويخلصون الدعاء لله وحده كما
 قال تعالى قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله
 تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
 وتذسبون ما تشركون وقال واذا مس الانسان الضر دعا ربه منيبا اليه الآية
 وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه
 ضره مر كان لم يدعنا الى ضره منه والآيات في ذلك كثيرة معلومة فالله
 سبحانه رضى اخلاصهم في هذه الاحوال ومقتضى قول هذا المقتضى ان
 الله سبحانه أمر بالطلب من الاموات وغيرهم وان الله يحبه ويرضاه ان
 يكون علم احلاص هؤلاء المشركين في الشدائد أصوب وان الاولى بهم
 الاستمرار على الطلب من الملائكة والمسيح وعزير وغيرهم لان ذلك من
 الوسيلة التي أمر الله بها في زعم هذا الضال وكفى بهذا فضيحة له وما يزيد

بماقررتاه وضوحاً ان الله سبحانه سمي الدعاء في كتابه دينا قال سبحانه
 فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين واذا غشيهم موج كالظلل
 دعوا الله مخلصين له الدين وقال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح
 طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا
 انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين والمراد بالدين في هذه الآيات
 الدعاء عند جميع المفسرين وهو ظاهر مفسر في مثل قوله لئن انجيتنا من
 هذه لنكونن من الشاكرين وقال واذا مسكم الضر في البحر ضل من
 تدعون الا اياه وفي قوله اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون
 وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية اى
 سرا وعلاية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين اى يقولون لئن
 انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وذكر سبحانه الدين في هذه
 الآيات معرفا بالالف واللام وهو الدعاء وقال وما أمروا الا ليعبدوا الله
 مخلصين له الدين وقال فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
 وقال فادعوا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وقال فاعبد الله
 مخلصا له الدين ألا الله الدين اخلاص وقال قل انى أمرت أن أعبد الله
 مخلصا له الدين قل الله اعبد مخلصا له ديني فلما سمي الله سبحانه الدعاء
 دينا وأمر باخلاص الدين له وضد الاخلاص الشرك ومن جملة الدين الدعاء
 فمن جعل شيئا من الدين لغير الله فقد أشرك وقد قال تعالى وقتالوهم حتى
 لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله اى وحتى يكون الدين كله لله فتي
 كان شيء من الدين لغير الله فالحصمة منتفية ومن أنواع الدين الدعاء بنص
 القرآن فان قيل ما معنى الوسيلة في قول الله سبحانه وابتغوا اليه الوسيلة
 قيل المراد بالوسيلة التقرب اليه سبحانه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه

قال البغوي الوسيلة القربة وقال البيضاوي أي ما توسلون به إلى ثوابه
والزلفى لديه من فعل الطاعات وترك المعاصي وقال ابن كثير المعنى تقرّبوا
إليه بطاعته والعمل بما يرضيه قال وهذا إجماع من المفسرين وكذلك قوله
في الآية الأخرى يتغون إلى ربهم الوسيلة قال البغوي الوسيلة القربة وقيل
الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله وقال البيضاوي يتغون إلى ربهم الوسيلة
بالطاعة أي هؤلاء الآلهة يتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل
من وار يتغون أي يتغنى من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف
بغير الأقرب ونحو ذلك قال ابن كثير وقيل يحرصون أيهم يكون أقرب
إلى الله وذلك بطاعته وازدياد الخير وقول البغوي ينظرون أيهم أقرب إلى
الله فيتوسلون به هذا لفظ البغوي لابن عباس وضل الناقل في عزوه إلى
ابن عباس فإن كان معنى هذه الكلمة كما قال البغوي فالمراد بذلك ما يفعله
الصحابة مع النبي ﷺ في حياته من طلبهم دعاءه لهم واستسقاءهم به في أحاديث
كثيرة وما فعله عمر بعد موته ﷺ من استسقاؤه بالعباس في قوله اللهم
إنا كنا نتوسل إليك بنينا فمسخنا ولما نتوسل إليك بعم نبينا فمسخنا وكذلك
فعل معاوية مع يزيد بن الأسود الجرشى لما استسقى قال اللهم إنا نقسم
إليك بخيارنا يزيد يا يزيد أرفع يديك إلى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فاسقوا
فهذا من الوسيلة قال شيخ الإسلام تقي الدين أما التوسل والتوجه إلى الله
وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمرنا بها كدعاء الثلاثة الذين أودوا إلى النار
بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه
بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله وابتغوا إليه الوسيلة وقوله
يتغون أي ربهم الوسيلة فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به أي
يتوصل به ويتقرب إليه به سبحانه سواء كان على وجه العبادة والطاعة

وامتنال الامر أو كان على وجه السؤال والاستعاذة به رغبة اليه في جلب
 المنافع ودفع المضار ومن ذلك سؤاله باسمائه وصفاته كقول أسألك بأن
 لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض اذا الجلال والاكرام
 واستدل المعترض بقول الله سبحانه لا يملكون الشفاعة الا من اتخذه عند
 الرحمن عهدا قال فقد أخبر ان الله ملك المؤمنين الشفاعة فطلبها ممن يملكها
 بتملكك الله له لا مانع منه كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله اياه ومراد
 المنادي له **صلى الله عليه وسلم** والتوسل به انما هو الشفاعة انتهى قوله ان الله ملك
 المؤمنين الشفاعة كما ملك أهل الدنيا المال وغيره حقيقة هذا القياس ان
 الشفعاء يشفعون عنده بغير اذنه وفيمن لا يرضى ان يشفع فيه كما أن أهل
 الدنيا يتصرفون فيما أعطاهم الله بغير اذنه سبحانه وقد يتصرفون نصرفا
 لا يرضاه الله يتصرفون بحسب اختيارهم لا بأمر الله لهم واذنه فقد يعطون
 من لا يرضى الله اعطائه ويمنعون من يحب الله اعطائه بل يعطون من نهى
 الله عن اعطائه ويمنعون من أمر الله باعطائه ويقرّبون اليهم من أمر الله
 بإبعاده ويبعدون من أمر الله بتقريبه وليس كذلك حال الشفعاء عند
 الله ونصوص القرآن صريحة في أنه لا يشفع عنده أحد الا بوجود أمرين
 اذنه لا شافع ورضائه عن المشفوع فيه فتي فقد الامر ان أو احدهما لم يوجد
 شفاعة قال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من
 بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
 وقال ما من شفيع الا من بعد اذنه يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده الا من أذن له
 الرحمن ورضى له قولا وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا
 لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
 ثم اليه ترجعون وقياس هذا أقبح من قياس المشركين بالشفعاء عند

الملوك فالمشركون جعلوا شفعا لهم بمنزلة خواص الملوك عند الملوك يشفعون
 عندهم بغير اذنهم وفيمن لا يرضونه وهذه هي الشفاعة الشريكية التي نفاهما
 القرآن وأما قياس هذا الجاهل الشفاعة بحال أهل الدنيا وملوكهم فيها
 فالذي يسأل أهل الدنيا يسألهم عما في أيديهم يقول أعطوني عما في أيديكم
 لا يقول انهم يشفعون له عند الله ولا يقول اشفعوا لي فتبين بطلان قياس
 هذا وضلاله قال شيخ الاسلام تقي الدين بعد كلام سبق ولهذا كانوا
 في الشفاعة على ثلاثة أقسام فالمشركون أثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة
 الخلق عند المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك الى ذلك
 فيسألونهم بغير اذنهم ويحجب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم فالذين أثبتوا
 مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار لان الله لا يشفع عنده أحد
 الا باذنه ولا يحتاج الى أحد من خلقه بل من رحمته وإحسانه اجابة دعاء
 الشافع ولهذا قال مالكم من دونه من ولي ولا شفيع الى أن قال وأما
 الخوارج والمعتزلة فاتهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته
 وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولا جماع
 خيرة القرون القسم الثالث أهل السنة والجماعة وهم سلف الامة وأئمتها ومن
 تبعهم بإحسان أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله ونفوا ما نفاه فالشفاعة
 التي أثبتوها هي الشفاعة التي جاءت بها الاحاديث وأما الشفاعة التي نفاهما
 القرآن كما عكسه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الامة فينفاهما
 أهل العلم والايان مثل أنهم يطلبون من الانبياء والصالحين والغائبين والميتين
 قضاء حوائجهم ويقولون انهم ان أرادوا ذلك قضوها ويقولون انهم عند
 الله كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك ولهم على الملوك
 ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك والله سبحانه

قد نزه نفسه عن ذلك انتهى (وقوله) ان الله ملك المؤمنين الشفاعة
مستدلا بقوله سبحانه لا يعاكبون الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
وقوله ولا يعاكب الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم
يعلمون بناء على أحد قولي المفسرين ان الاستثناء في الآيتين متصل فاطلاق
القول بان الله ملك المؤمنين الشفاعة خطأ بل الشفاعة كلها لله وحده قل لله
الشفاعة جميعا وأثبت سبحانه الشفاعة بأذنه وأخبر النبي ﷺ ان الانبياء
يشفعون والصالحين يشفعون وعلى هذا فن اذن الله في الشفاعة يصح أن
يقال انه ملك ما أذن له فيه فقط لا مالم يؤذن له فيه فهو تملك معلق على الاذن
والرضا لا تملك مطلق كما يزعمه هذا الضال وسيد الشفعاء صلوات الله وسلامه
عليه لا يشفع حتى يقال له ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع قال الله
تعالى لا اكرم الخلق عليه ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولى قربي من بعد ما نبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لما قال ﷺ
في حق عمه لأستغفرن لك ما لم انه عنك وقال في حق المنافقين استغفر
لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقوله
ان مراد المنادى له ﷺ والمتوسل به انما هو بالشفاعة فقد تقدم جواب
ذلك وهو ان هذا مراد المشركين ممن قصده كما أخبر الله عنهم بذلك
كقوله عنهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
لم يقولوا ان أحدا من الملائكة أو المسيح أو عزيرا أو الجن يستقلون
بقضاء حوائجهم وانما يقولون انهم يشفعون لنا عند الله في قضاء حوائجنا
وقوله ان الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ ولم ينكر عليهم ولم يقل أنتم
أشركتم لانكم طلبتم مني قبل الاذن قال فدل ان ذلك جائز في حياته
وبعد موته لانه حي في قبره بالاتفاق قال وما جاز أن يطلب منه في حياته

جاز أن يطلب منه بعد موته ومن منع فعليه الدليل وعلى قواكم
 ان الطلب عبادة يقتضى أن لا فرق بين الحياة والمات انتهى أما استدلاله
 بطلب الصحابة منه في حياته ان يدعوا لهم ولم ينكر عليهم ولم يقل أتم
 أشركتم فهذا من المغالطة والترويج على الجهال يقول اذا انكرتم
 طلب الدعاء منه بعد موته لزمكم الا تجيزوا طلب الدعاء منه في حياته
 واذا قلتم انه لا يشفع في الآخرة الا من بعد اذن الله له لزمكم القول انه
 لا يدعوا لاحد في الدنيا الا من بعد اذن الله له في ذلك ويقول لما ثبت
 ان الصحابة يطلبون الدعاء منه في حياته فكذلك يجوز بعد موته
 ويقول اذا كان يدعو لهم بغير اذن الله في ذلك جاز أن يشفع في الآخرة
 بغير اذن الله له هنا - حقيقة كلامه فيقال هنا وهل يقول أحد انه لا يجوز
 طلب الدعاء منه في حياته عليه السلام أو من غيره فلا يقول هذا أحد فقد كان
 أصحابه يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقى لهم ويستصر لهم ويستغفر
 لهم وأمره الله بذلك فقال واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال ولو
 انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا
 الله توابا رحيما فدعائه عليه السلام لهم من أعظم الوسيلة الى طوباهم عليه السلام
 لعمر لما استأذنه في العمرة أشركنا يا أحمى في دعائك وما زال المسالمون
 يطلب بعضهم من بعض الدعاء قل تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون
 ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية وقوله ان لا ي
 لم ينكر عليهم طلب الدعاء منه ولم يقل أتم أشركتم لانكم طلبتم مني
 قبل الاذن فهذا تهويل منه وتوهيم للطعام وهل يقول هذا أحد وإنما
 الذى يتوقف على الاذن من الله سبحانه هو الشفاعة في الآخرة حين
 يرجع الامر والملك لله الواحد القهار الذى لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر
 قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا

يوم لا تكلم نفس الا باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
 الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والله سبحانه وتعالى فرق بين أحكام
 الدنيا والآخرة فشرع لاهل الدنيا دعاء بعضهم لبعض الاحياء والاموات
 وملكهم ما يتصرفون فيه فهم يتصرفون بحسب اختيارهم وأما الآخرة
 فاخبر سبحانه انه المتفرد بالملك والامر والتصرف في ذلك اليوم فلا يضع
 أحد شيئا ولا أمر لغيره معه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
 لله ولا شفاعة الا من بعد اذنه مامن شفيع الا من بعد اذنه فكللام هذا
 الضال يدور على التسوية بين أحكام الدنيا والآخرة وهذا من أعظم المحادة
 والمشاقة لله ولرسوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
 غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقوله انه صلى الله عليه وسلم
 حى في قبره بالاتفاق حكايته الاتفاق كذب منه وهو قد نقض حكايته
 الاتفاق بما ذكره من بعد الحكاية المروية عن مالك رحمه الله وقوله لابي
 جعفر ان حرمة ميتا كحرمة حيا فوصفه مالك بالموت حال كلامه مع ابي
 جعفر فاذا ذكره عن مالك يكنب دعواه الاتفاق ويأتى في عبارة هذا
 وصف فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالموت الآن فهو متناقض وعبارته التى أشرنا اليها
 قوله في الكلام على حديث يا عباد الله احبسوا فقال ولكون النبي صلى الله عليه وسلم
 حاضرا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة وهو قولنا السلام
 عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقوله حاضرا مع موته وصف له بالموت
 الآن هذا مع انه لا يمكنه أن يأتى بحرف واحد عن الائمة الذين يعتد بوقافهم
 وخلافهم كالائمة الاربعة وأمثالهم على حياته صلى الله عليه وسلم في قبره الحياة التى
 يشير اليها قال ابن القيم لم يرد حديث صحيح انه صلى الله عليه وسلم حى في قبره لكن
 نقطع ان الانبياء لاسيا خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين أعلى
 رتبة من الشهداء وقد قال سبحانه عن الشهداء انهم احياء عند ربهم

برزقون فالانبياء أولى بذلك قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
 الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ومع ذلك فالشهداء داخلون تحت
 قوله كل نفس ذائقة الموت انك ميت وانهم ميتون فثبت سبحانه للشهداء
 موتا بدخولهم في العموم كالانبياء وهو الموت المشاهد ونفي عنهم موتا قالموت
 المثبت غير الموت المنفي قالموت المثبت هو فراق الروح الجسد وهو مشاهد
 محسوس والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن انتهى وقال البيضاوي
 على قوله سبحانه بل أحياء ولكن لا تتعرون فيه فتنبه على ان حياتهم
 ليست في الجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي أمر
 لا يدرك بالعتل بل بالوحى انتهى ومن العجب أنه لو جاء انسان الى ميت
 على وجه الارض شهيدا أو غيره يطلب منه أن يدعو له فضلا أن يطلب
 منه أن ينصره على عبوده أو يكسوه لقال الناس هذا مجنون فاذا صار
 رميا في بطن الارض زين لهم الشيطان ودعاة الضلال من الانس الاستغاثة
 به وطلب الحاجات منه والاعامى السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته كما
 حكى لنا ان رجلا من أهل مكة ينسب الى علم قال لرجل عالمي من أهل
 نجد أتم ماللاولياء عندكم قدر والله يقول في الشهداء انهم أحياء عند
 ربهم يرزقون قال له العالمى هل قال يرزقون يعنى بفتح الياء أو قال يرزقون
 يعنى بالضم فان كان يعنى بالفتح فأنا أطلب منهم فان كان يعنى بالضم فأنا
 أطلب من الذى يرزقهم فقال المكي حجاجكم كثيرة وسكت ويقول لمن ادعى
 ان النبي ﷺ حى في قبره كحياته كما كان على وجه الارض ثبت انه
 ﷺ مات بنص القرآن فاحجنتكم على انه عاد حيا كما كان على وجه
 الارض قبل موته فلن يجد الى ذلك سبيلا وليس عندهم الا مجرد دعوى
 أو شبهة لاحقيقة لها ويدل على بطلان هذه الدعوى ما رواه أبو داود عنه
 ﷺ قال ما من مسلم يسلم على الارء الله على روحى حتى أرد عليه السلام

فهذا يدل على أن روحه الشريفة عليه السلام ليست في بدنه دائماً وإنما هي في أعلى عليين ولها اتصال بالجسد الله أعلم بحقيقته لا يدركه الحس ولا العقل وليس ذلك خاصاً به عليه السلام لحديث تقدم عنه عليه السلام قال ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفي صحيح مسلم عنه عليه السلام إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قبائل معلقة تحت العرش الحديث وقد أخبر سبحانه أنهم في البرزخ أحياء عند ربهم يرزقون وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حق النبي عليه السلام أما الوتة التي كتبت عليك فقدمتها ولن يجمع الله عليك موتين وقد قام الدليل القاطع أنه عند النقطة في الصور لا يبقى أحد حياً فلو كان الأمر كما يزعمون لكان الله قد يجمع عليه موتين ولما قال عليه السلام أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة على قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني قد بليت قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ولم يقل لهم أنا حي في قبري كحياتي الآن صلوأت الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين قوله وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته ومن منع فعليه الدليل ليس هذا خاصاً به عليه السلام عند هذا المعارض بل يزعم كما تقدم أن الله أمر بطلب الحاجات ممن يعرف هذا بموتهم في قوله إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين وادعى في موضع آخر حياتهم فهو متناقض كما ترى قوله ومن منع فعليه الدليل فنقول جميع ما تقدم من الأدلة الدالة على أن دعاء الأموات والغائبين وطلب الحاجات منهم من الشرك الذي حرمه الله ورسوله يدخل في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون وغيرهم لأن ذلك عبادة وهي محض حق الله لا يرضى أن يشرك معه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل قال تعالى ولقد أوحى إليك وإلى الذين

من قبلك لأن أشركت ليحبطن عمالك وتشكونن من الخاسرين وقال ولو
 أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقال سيد ولد آدم عليه السلام لا تطروني
 كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وقال
 ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزاني الله وقال الممترض وما جاز أن
 يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته تقدم الجواب عند قوله
 لأن الشيء الواحد يكون بالنسبة للحي طاعة وبالنسبة للميت عبادة الخ تقدم
 هناك ما فيه كفاية لمن أراد الله هدايته وكلامه في هذا الموضع في حق النبي
عليه السلام يحتاج إلى زيادة بيان وإيضاح فن المعلوم بالضرورة أن الصحابة
 كانوا يطلبون منه عليه السلام في حياته أن يدعو لهم ويستغفر لهم ويستسقى
 لهم ويستفتونه ويطلب الناس منه عرض الدنيا مما أعطاه الله تعالى ويرجعون
 إليه فيما أشكل عليهم من أمر دينهم وهذا كله معلوم بالضرورة وأما بعد
 موته فلم يأت أحد من الصحابة إلى قبره عليه السلام يطلب منه أن يدعو له
 فضلا عن أن يطلب منه شيئا من عرض الدنيا أو نصر على عدو ونحو
 ذلك ولا استفتاه أحد منهم فيما أشكل عليهم فأول ذلك لما أشكل عليهم
 هل يجردونه من ثيابه عند غسله أولا لم يسألوه وهو بين أيديهم ولما عزم
 الصديق على قتال مانع الزكاة وحصل عند عمر توفف في ذلك لم يأت إلى
 قبره يسأله عما استراب فيه ولما حضرت عمر الوفاة طلب من عائشة أن
 يدفن مع صاحبيه ولم يقل استأذنوا رسول الله عليه السلام في ذلك لعلمهم رضي
 الله عنهم أن هذه الأمور مستحيلة منه بعد موته واستسقى عمر بالعباس ولم يأت
 هو والصحابة إلى قبره يطلبون منه أن يستسقى لهم كما كانوا يفعلونه في حياته
 وحدث في المدينة حوادث عظيمة كوقعة الحرة ولم يأت أحد إلى قبره
 ليستنصر لهم فضلا عن أن يطلبوا منه أن ينصرهم فلو كان هذا جائزا لأتوا
 إلى قبره ذكرهم وأشاهم لاسباب المضطر يقشبت بادني سبب يظن به النفع

وهذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله لو فعل لكنهم أعلم بالله ورسوله
من هؤلاء الخلوف وكان الناس يأتون الى عائشة يستفتونها وهي في بيته
عليها السلام فكيف يستفتونها وتفتيهم وهو عليها السلام عندهم يسمع كلامهم
ويجيهم لو سألوه في زعم هذا المبطل ولما وقع الاختلاف بين علي ومعاوية
وأشكل أمرهم على كثير من الناس لم يأتوا الى قبره يستفتونه في هذا
الامر ليزيل الاشكال عنهم وأشكل على الصحابة مسائل كثيرة يختلفون
فيها يوجد في المسئلة لهم قولان أو ثلاثة أو أربعة وأكثر وقال عمر ثلاثة
وددت اني سألت رسول الله عليه السلام عنها فابن هذا المفترى عن أصحاب
رسول الله عليه السلام من أين يقول لهم كيف تشكل عليكم المسائل وتختلفون
وهذا نبيكم بين ظهرانيكم حتى ما عرفتم قدره هذه حقيقة دعوى هذا الملبس
تخطة أصحاب رسول الله عليه السلام وتجهيلهم وكان ابن عمر يأتي الى القبر
فيقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك
يا أبا براء ثم ينصرف وقال سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك يسلم على
النبي عليه السلام ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعو ونص الأئمة الاربعة
على انه اذا سلم على النبي عليه السلام وأراد الدعاء انه يستقبل القبلة ولا يستقبل
القبر ومن المعلوم ان أعظم مطلوب الامة منه عليه السلام أخذ العلم عنه ولم يقصد
أحد منهم قبره عليه السلام لذلك فالتابعون أخذوا العلم عن الصحابة وتابعوا
التابعين أخذوا العلم عن التابعين وكذا كل طبقة يأخذون العلم عن فوقهم
والعلماء يرحلون الى الآفاق حجازا وشاما ويمنا وعراقا لطلب الحديث بالاسانيد
والوسائط الكثيرة وتحملوا المشاق العظيمة فلو كان ما يقوله هذا حقا من
من انه يطلب منه عليه السلام بعد موته كل ما يطلب منه في حياته لتراجوا عند
قبره لاخذ العلم عنه على حقيقته ويتركون الوسائط وهذا أمر ظاهر الفساد
لكن ربما يدخل كلامه هذا في نفوس بعض الجاهل لظنهم ان عند هذا

الرجل علما فيتهموا الفطرة التي فطروا عليها حتى يتبين لهم بطلانه وقوله
 فمن منع فعلية الدليل فأي دليل أبلغ وأوضح مما قررناه من أن الصحابة
 قبل موته ﷺ يطلبون منه جميع ما تقدم وانهم بعد موته ﷺ ما فعلوا
 معه شيئا مما كانوا يفعلون معه في حياته من طلب الدعاء منه أو استفتائه
 أو طلب حاجة من حوائجهم أو نصر على عدو وكذلك التابعون بعدهم فلا دليل
 أوضح من هذا على بطلان قوله أنه يطلب منه بعد موته جميع ما يطلب منه في حياته
 قال ابن القيم رحمه الله ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحوا جانبه إلى
 أن قال ومن المحال أن يكون دعاء الاموات والدعاء بهم مشروعا وتصرف
 عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلفاء الذين
 يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فهذه سنة رسول الله ﷺ
 في أهل القبور بضعا وعشرين سنة حتى توفاه الله وهذه سنة خلفائه
 الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشرا
 على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف
 أو منقطع انهم اذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها ومسحوا
 بها فضلا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم
 فليوقفنا على أثر واحد في ذلك بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلفاء التي خلفت
 بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر حتى
 لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن
 خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف
 ذلك كثير كما قدمنا من الأحاديث المرفوعة وأما آثار الصحابة فأكثر من
 أن يحاط بها وقد ذكر جلة مما روى في ذلك منها ما ذكر محمد بن اسحاق
 في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال

حدثنا أبو العالية قال لما فتحت تستروجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب فدعا كعبا فنسخه بالعربية فانا أول رجل من العرب قرأه مثل ما أقرأ القرآن قلت لأبي العالية ما كان فيه قال سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتُم بالرجل قل حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور لنعميه على الناس لا ينشونه فقلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون فقلت ما كنتم تظنون الرجل قال رجلا يقال له دانيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاثمائة سنة قلت ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعيرات من قفاه ان لحوم الانبياء لا تبليها الارض ولا تأكلها السباع ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من نعمة قبره لثلاثين به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به هؤلاء المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لا يداني هذا ولا يقار به وأقاموا لها سدة فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا لنصب المهاجرون والانصار هذا القبر على ذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلف التي خلفت بعدهم وكذلك التابعون لهم باحسان درجوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعا به ولا دعاه ولا دعا عنده أو استقى به ولا استنصر به ومن المعلوم ان مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه وذكر ابن القيم أيضا ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة

قال قال رسول الله ﷺ لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبرا عبدا
وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وروى أبو يعلى عن علي بن
الحسين أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل
فيها فيدعو فتمناه وقال ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول
الله ﷺ قال لا تتخذوا قبرا عبدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على فان
تسليمكم يبلغني أينما كنتم رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي
في مختاراته وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي سعيد مولى المهري
قال قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا بيتي عبدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا
على حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني وروى سعيد أيضا عن سهيل بن
أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر
فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال لهم الى العشاء فقلت لأريده فقال
مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي ﷺ فقال اذا دخلت المسجد
فسلم ثم قال ان رسول الله ﷺ قال لا تتخذوا بيتي عبدا ولا تتخذوا بيوتكم
مقابر لعن الله لليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على
فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم وما أنتم ومن بالاندلس الا سواء قلت
ورواه عبد الرزاق في كتابه عن الحسن بن الحسن بن علي انه رأى قوما
عند القبر فنهأهم وقال ان النبي ﷺ قال لا تتخذوا قبرا عبدا ولا
بيوتكم قبورا وصلوا على فان صلاتكم تبلغني قال ابن القيم فهذان المرسلان
من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لاسيما وقد احتج
به من أرسله فهذا يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يكن روى من وجوه
مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندا قال شيخ الاسلام تقي الدين
فقس الله روحه ووجه الدلالة منه ان قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر

على وجه الارض وقد نهى عن اتحاده عبدا فقبر غيره أولى انتهى ففيما ذكرناه أوضح برهان وأبين دليل على بطلان دعوى هذا المفتري في قوله ان ما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين وقوله بل على قولكم ان الطالب نفسه عبادة يقتضى أن لا فرق بين الحياة والمات الخ فقد تقدم الجواب عن هذه الشبهة في كلامنا على قوله فيما تقدم اذا كان النداء دعاء لزمكم أن لا ينادى أحد لاحي ولا ميت وقوله هنا فعلى قولكم ان الطالب نفسه عبادة مقتضى كلامه ان الطلب من حيث هو ليس بعبادة سواء كان الطلب من الله أو من غيره فيقال له ان زعمت ان الطلب من الله ليس بعبادة فهذا معلوم البطلان كما قررناه فيما تقدم وينا دلائله من ذلك ان الله أمر بدعائه وأثنى على من دعاه رغبا ورهبا فقال لهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة فقال ان الدعاء هو العبادة وقال الدعاء محج العبادة وكل ما أمر الله به أمرا يحجب أو يستجلب فهو عبادة عند جميع العلماء فمن قال ان دعاء العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال بل كافر فان أقر انه عبادة ولا بد أن يقر الا أن يعاند ويكابر فاذا أقر ان دعاء العبد ربه عبادة فاذا دعاه ربه راغبا وراهبا فقد عبده فاذا دعا من لا يسمعه أولا يستجيب له من ميت أو غائب كان قد دعا من لا ينفعه ولا يضره ونصوص القرآن صريحة في النهي عنه وذنم من دعا من هذه صفته فيدخل في ذلك الاموات والغائبون كالجد لان كلا من هؤلاء لا يستجيب لداعيه فلا ينفعه ان دعاه ولا يضره ان لم يدعه وتقدم حكاية الشيخ تقي الدين اجاع المسلمين على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعونهم ويتوكل عليهم ويسألهم وتقدم أيضا قول الله سبحانه وتعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقول المفسرين

انها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن وقول الشيخ
 تقي الدين ان الآية نعم من دعا الاموات والغائبين فكل من دعا ميتا أو
 غائبا فهو داخل في حكم هذه الآية وهذا ظاهر لان العبرة بعموم اللفظ
 لا بخصوص السبب والذين هم سبب النزول غائبون وغائبهم أقرب من غائب
 الانس ومنهم الميت كعزيز ومريم ويقال لهؤلاء الذين يدعون الاموات
 أو الغائبين ادعوهم فيما يهكم وينزل بكم من الشدائد فانهم لا يملكون
 كشف الضر عنكم ولا تحويلا فكل من دعا من لا يملك كشف ضره ولا
 تحويله داخل في عموم الآية وأما طلب الانسان حاجته من حي حاضر عما
 يدخل تحت مقدور البشر فلم يمنع الله سبحانه من ذلك كما قدمنا مع أن
 ترك مسألة الناس من تحقيق التوحيد وكاله فلو أن الله سبحانه أمرنا بطلب
 حاجتنا من الاموات والغائبين كما زعم هذا وفعلنا ذلك امتثالا لامر الله كان
 ذلك عبادة منا لله لالغيره كما ان الله سبحانه لما أمر الملائكة بالسجود لآدم
 وسجدوا كان ذلك عبادة لله لآدم ولو أمرنا الله بالسجود لنبينا وفعلنا
 كان ذلك عبادة منا لله لالنبي صلوات الله عليه ولو فعلنا ما نهانا الله عنه من السجود
 لغيره كان ذلك عبادة للسجود له واحتج المعارض بما رواه الترمذي عن
 أنس أنه طلب من النبي أن يشفع له وهذا لا ينكر كطلب أهل موقف
 القيامة من الرسل أن يشفعوا لهم وانما تنكر الطلب منه بعد موته وتنكر
 الشفاعة لشركية التي أثبتنا هذا بقوله ان الله ملك المؤمنين الشفاعة كما ملك
 أهل الدنيا ما أعطاهم فيها فهم كما قدمنا يتصرفون على حسب اختيارهم
 وحقيقة تشبيهه ان المؤمنين يشفعون بحسب اختيارهم من غير اذن من الله
 كحال أهل الدنيا فيما أعطاهم الله فهذه هي الشفاعة التي تنكرها كما نفاهها
 القرآن واستدل المعترض بحديث الاعشى ولا حجة له فيه وليس فيه ما يوجبهم

جواز دعائنا له والاستغاثه به وغاية ما يفهم من حديث الاعمى التوسل بجاهه
 ﷺ كما فهمه منه ابن عبد السلام وقديين شيخ الاسلام تقي الدين رحمه
 الله تعالى معنى الحديث وأوضحه غاية الايضاح. ولفظ الحديث أن رجلاً أعمى
 جاء الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري قال
 ان شئت دعوت لك الله وان شئت صبرت قال ادعه فأمره أن يتوضأ
 ويصلي ركعتين ويقول اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد يا محمد
 اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي اللهم فشفعه في هذا لفظه
 وليس فيه حجة لهذا في جواز الاستغاثه به ﷺ فهو لم يطلب من النبي
 ﷺ ان يزد عليه بصره وانما طلب منه ﷺ أن يدعو الله له وليس
 في الحديث صراحة لما فهمه ابن عبد السلام قال شيخ الاسلام تقي الدين
 رحمه الله بعد كلام ذكره ومن هذا استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة
 بمعنى أنهم يطلبون منه أن يشفع الى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن
 يدعو لهم في الاستشفاء وغيره وقول عمر انا كنا اذا توسلنا اليك بنبيك
 فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم بنينا معناه تتوسل اليك بدعائه وشفاعته
 وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ليس المراد انا نقسم
 عليك به أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما قال
 بعض الناس أسألك بخاء فلان عندك أو يقولون انا نتوسل الى الله بانبيائه
 ورسله وأوليائه وروون حديثاً موضوعاً اذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي فان
 جاهي عند الله عريض فلو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما
 ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم ان
 السؤال به والاقسام به أعظم من العباس فعلم ان ذلك التوسل الذي ذكره
 عمر هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم
 فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره وكذلك حديث

مطلب

الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه
 النبي ﷺ دعاء أمره أن يسأل الله به قبول شفاعته وإن قوله أسألك
 وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر كنا
 نتوسل اليك بنبينا فلنظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد ثم قال
 يا محمد اني أتوجه بك الى ربي لحاجتي ليقضيها اللهم فشفعه في فطلب
 من الله أن يشفع فيه نبيه وقوله يا محمد يا بني الله فهذا وأمثاله
 يطلب به منه استحضار المنادي في الذلب فيخاطب المشهود بالقلب كما
 يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يقول مثل
 هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع
 الخطاب انتهى وقول المتبرئ ان ابن نيمية يقول ان الاعمى صور صورة
 النبي ﷺ وخاطبه كما يخاطب الانسان من يتصوره في ذهنه ممن يحبه أو
 يبغضه وإن لم يكن حاضرا قل وهذا عجيب من ابن تيمية فان نداء الصورة
 والطلب منها مع كونها وهما خياليا أقوى في الحجّة على المانع فهذا الحديث
 هو الدليل لمن يجوز نداء النبي ﷺ في حياته وبعد موته والناظم ممن
 يرى ذلك انتهى انظر كذب هذا على ابن تيمية بقوله ان ابن تيمية يقول
 ان الاعمى صور صورة النبي ﷺ وليس هذا لفظ ابن تيمية وإنما قال
 فهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المادي في القلب فيخاطب المشهود
 بالقلب كقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال
 والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن
 في الخارج من يدع الخطاب هذا لفظه على حديث الاعمى في اقتضاء
 الصراط المستقيم وغيره هل قال ان الاعمى صور صورة النبي ﷺ وقول
 الشيخ بعد ذلك والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في

ذهنه أى يستحضره فى نفسه وقوله وهذا عجيب من ابن تيمية فان نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهما خيالها أقوى فى الحجّة على المانع فيقال وهل قال ابن تيمية انه يطلب من الصورة شىء ولم يذكر ابن تيمية لفظ الصورة وانما قال من يتصوره أى يستحضره ثم أتى المعارض بالكذب الصريح فى قوله وذكر ابن تيمية فى معنى هذا الحديث قولين قول بجواز التوسل به بمعنى طلب دعائه فى حياته وقول بجواز ذلك فى حياته وبعد مماته ومغيبه قال وقد وافق ابن تيمية ابن عبد السلام بجواز الطلب والتوسل به صلى الله عليه وسلم لحديث الاعمى فصار ندائه والطلب منه محل اتفاق انتهى فى هذه الجملة من كلامه ثلاث كذبات الاولى قوله ان ابن تيمية حكى قولاً فى معنى الحديث بجواز الطلب منه صلى الله عليه وسلم فى حياته ومماته وحضوره ومغيبه الكذبة الثانية قوله ان ابن تيمية وافق ابن عبد السلام بقوله ان ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب منه فى الحياة والموت والكذبة الثالثة قوله فكان ندائه والطلب منه محل اتفاق وكذبة رابعة على ابن عبد السلام بقوله ان ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب من النبى صلى الله عليه وسلم والسؤال منه فى الحياة والممات أما قوله ان ابن تيمية حكى قولاً فى معنى الحديث ان المراد طلب الدعاء منه فى الحياة والممات والحضور والغيبه فهو كاذب على الشيخ والشيخ رحمه الله جزم بأن معنى الحديث ان الاعمى طلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو له وان ذلك مختص بالحياة ممتنع بعد الموت كاستسقاء عمر بالعباس ثم ذكر قول ابن عبد السلام انه فهم من حديث الاعمى التوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يوافقه الشيخ على ذلك بل منع من التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم وما جزم به الشيخ فى معنى الحديث وما حكاه عن ابن عبد السلام هما القولان اللذان ذكرهما فى معنى الحديث حديث الاعمى لا كما زعم هذا

الكذب ان القولين في طلب الدعاء منه وان أحد القولين اختصاص ذلك بالحياة والقول الثاني ان ذلك جائز في حياته وعيانه عليه السلام وان هذا قول ابن عبد السلام وان الشيخ وافقه على ذلك فكذب على ابن عبد السلام وعلى الشيخ في زعمه انهما أجازا طلب الدعاء منه عليه السلام بعد موته مأجوراً هذا على الكذب لانه يرى كلام الشيخ على هذا الحديث نفسه وانكار طلب الدعاء من الاموات لاسيما طلب ذلك منه عليه السلام ويقول طلب الدعاء من الاموات شرك وكتابه في الرد على ابن البركزي الذي جوز الاستغانة بالبي عليه السلام موحود وكلامه على حديث استسقاء عمر بالعباس في أن طلب الدعاء منه عليه السلام مختص بحيته وكلامه في هذه المسئلة معروف مشهور موجود في كتبه فكيف يجترئ على الكذب الظاهر قوله فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق كذب ظاهر وخطأ فاحش أما أولا فانه لم يتفق ابن عبد السلام وابن تيمية على قول واحد في مسئلة فانه لا يقال فيه انه اتفاق وانما يقال هذا محل اتفاق فيما اجتمعت عليه الامة الذين يعتد بوقايمهم وخلافهم في الاحكام وهذا لم يذكر كلمة واحدة توافق مذهبه عن صحابي ولا تابعي ولا عن امام من أئمة المسلمين وانما حقيقة أمر هذا الرجل كما قال بعض العلماء شرك مبني على افك كذب على الله في قوله ان الله أمر بالطلب من الاموات والعائنين وان هذا من الوسيلة التي أمر الله بها وكذب على النبي عليه السلام في زعمه ان حديث الاعمي وغيره مما أورده يدل على ذلك وأدعى اتفاق العلماء على حياة النبي عليه السلام في قبره وأدعى على ابن تيمية وابن عبد السلام انهما أجازا الطلب من النبي عليه السلام بعد موته وان ذلك اتفاق وكذب في قوله ان في الصحيحين عن النبي عليه السلام انه قال لا أملك لكم من الدنيا فعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله وكذبه وتناقضه ومعارضته للقرآن والحديث لا يخفى على عاقل منصف نهنا على

على بعضه وأخيت أن أذكر هنا بعض كلام الشيخ رحمه الله في مسألة
 التوسل وقول ابن عبد السلام قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في رده على
 ابن الهكمرى وما زلت أبحث وأكشف ما أمكننى من كلام السلف والائمة
 والعلماء هل يجوز أحد منهم التوسل بالصلحين في الدعاء أو فعل ذلك أحد
 منهم فإ وجدته ثم وقفت على فتيا للفقير أبي محمد ابن عبد السلام أفتى
 بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ وأما بالنبي فجوز التوسل به إن صح
 الحديث في ذلك وذكر القدورى في شرح الكرخى عن أبي حنيفة وأبي
 يوسف أنه لا يجوز أن يسأل الله إلا به انتهى وذكر ابن القيم في إغاثة
 اللهمان عن أبي الحسين القدورى نحوه ذلك فقال قال القدورى قال بشر
 ابن الوليد سمعت أبا يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله
 إلا به وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك أو يقول بحق خلقك
 وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف مقعد العز من غير شك هو الله فلا
 أكره ذلك وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت
 والمشعر الحرام قال القدورى المسئلة بخلقه لا يجوز لانه لاحق للمخلوق على
 الخالق فلا تجوز يعنى وفاقا وقال البلدى في شرح المختارة ويكره أن يدعو
 الله إلا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك
 لانه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى وهذه المسئلة غير مانحن فيه لكن
 ناسب ذكر ذلك لمخالفتها لما فهمه ابن عبد السلام من حديث الاعمى وإن
 الذى فهم ابن عبد السلام إنما هو التوسل به صلى الله عليه وسلم فى
 الدعاء لادعائه نفسه كما زعم هذا المقتضى (واحتج المعارض) بالحديث
 الذى روى مرفوعا إذا انقلبت دابة أحدكم بارض فلاة فليناد يا عباد
 الله احبسوا فان الله حاضر يا يحبسوه وزعم أن سنده صحيح وليس كما ذكر
 من صحته لان فى سنده معروف ابن حسان وهو منكر الحديث قاله
 ابن عسلى وخلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهذا المبطل على جواز دعاء

الاموات والغائبين لانه قال فيه فان الله حاضرا سيحبسه المعنى ان الله عبادة
 لا نعلمهم وما يعلم جنود ربك الا هو قد وكلهم سبحانه بهذا الامر وهذا
 يدل على أن هؤلاء الذين أمر بمناداتهم حاضرون احياء بجعل الله لهم قدرة
 على ذلك فناديتهم ينادى من يسمع ويقدر على ذلك لقوله فان الله حاضرا
 سيحبسه وهذا كما ينادى الانس ان أصحابه الذين معه في السفر أن يردوا
 عليه دابته اذا انفلت وكل يتيقن ان النبي ﷺ لا يأمره بمناداة من
 لا يسمع ولا يعين من ناداه ومن استدلل بذلك على جواز الاستغاثة بالاموات
 والغائبين فهو ضال قال المعارض بعد ابراده هذا الحديث وأما قول من
 قال ان هذا نداء لحاضر كذب ظاهر فان عباد الله المدعوين وان كانوا
 حاضرين بالنسبة لعلم الله الذي لا يغيب عنه شيء فهم غائبون بالنسبة لمن
 يناديهم وكذلك الانبياء والصالحون من أهل القبور فانهم احياء في قبورهم
 وأرواحهم موجودة ولهذا أمر النبي أن ينادوهم ويخطبهم كخطابة
 الحاضر مع انهم غائبون عن الاعين انتهى فالعجب من تناقض هذا
 يورد هذا الحديث ونص الحديث فان الله حاضرا سيحبسه كم يقول من قال
 ان هذا نداء لحاضر كذب ظاهر يورد الحديث ثم يكذبه وقوله فان عباد
 الله المدعوين وان كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله فهم غائبون بالنسبة لمن
 يناديهم فياسبحان الله كيف يبلغ اتباع الهوى بصاحبه الى هذا التناقض
 ومعارضة الاحاديث التي يحجج بها فاذا أخبر الرسول أنهم حاضرون قادرين
 بقوله فان الله حاضرا سيحبسه فاخبر الرسول بحضورهم أبلغ من رؤيتنا
 لهم كما لو كان الذي انفلت دابته أعشى ويعلم أن عنده أناسا لا يراهم فانه
 يشعن بهم لعله أنهم يسمعون كلامه وان لم يكن يراهم قال المعارض
 في كلامه على هذا الاثر قال ولكون النبي ﷺ حاضرا مع موته شرع
 لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة فقوله مع موته اقرار منه بموته في قبره

الآن ثم كابر فادعى ان جميع الصالحين في قبورهم أحياء وكذب في هذه الدعوى والله سبحانه أخبرنا بحياة الشهداء في كتابه والانبياء أرفع من الشهداء فهم أولى بذلك من الشهداء مع انه لم يأت حديث صحيح بحياتهم وهذه حياة لا يعلم صفتها وحقيقتها الا الله لقوله سبحانه بل احياء ولكن لا تشعرون وأما قوله بحياة الصالحين غير الانبياء والشهداء في قبورهم فكذب منه وافراء وقوله ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبهم مخاطبة الحاضر مع انهم غائبون عن الاعين فيقال لهذا المبطل الذي أمر به النبي ﷺ أمته وشرعه لم عند زيارة القبور حجة عليك كافية في ابطال مذهبك هل فيما شرعته النبي ﷺ حرف واحد يتضمن دعاءهم والطلب منهم والاستغاثه بهم بل ليس فيها ما يتضمن سؤاله بهم فليتأمل طالب الحق جميع ما جاء عن النبي ﷺ مما كان يقول اذا زارها وما أمر به أمته عند زيارتها هل يجد فيها حرفا واحدا مما يعقده أهل الشرك والبدع أم يجدها مخالفة لما هم عليه من جميع الوجوه فمضمون الزيارة التي شرعها ﷺ تذكر الآخرة والاحسان الى المذنبين بالدعاء له والتبرع عليه والاستغفار له وسؤال العافية له فبطل هؤلاء المشركون قولاً غير الذي قيل لهم وغيروا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالليت بالاستغاثه به وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات والنصر على الاعداء واستئصال البركات وقوله ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادوهم ويخاطبهم مخاطبة الحاضر فيقال له وهل في خطابهم لهم طلب حاجة منهم أو طلب الدعاء منهم أو الخطاب الزائر المسلم هو الذي يدعوهم ويستغفر لهم ويتبرع عليهم ويسأل الله لهم العافية فهل في ذلك الا ما هو حجة عليك ثم يقال لهذا المتخرف هذا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته مع الاموات في دعائه لهم في الصلاة على جنائزهم وعند دفنهم وعند زيارتهم هل تجد

فيها حرفا واحدا يوافق دعواك بطلب الحاجات من الاموات والغائبين
 ودعواك ان الله أمر بذلك بقوله وابتغوا اليه الوسيلة فكأن النبي صلى
 الله عليه وسلم ما علم من معنى الوسيلة ما علمت أو انه علم ذلك ولم يدل عليه
 بحرف واحد وكذلك أصحابه من بعده عند اتيانهم الى قبره صلوات الله
 وسلامه عليه لا يزيدون على مجرد السلام عليه وعلى صاحبيه كما تقدم عن
 ابن عمر وأنس وغيرهما وما تقدم عن أهل بيته عليهم السلام من انكار على بن
 ابن الحسين زين العابدين على الذي يدعو الله عند قبره عليه السلام وقول
 الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لاذي قال سألت على النبي عليه السلام
 وقال له اذا دخلت المسجد فسلم وفي رواية فنهاه واستدل بقوله عليه السلام
 لا تتخذوا بيتي عيداً الحديث وتقدم أنفي على هؤلاء السادة ما فهمه هذا
 واشياعه من قول الله وابتغوا اليه الوسيلة وما فهمه من حديث الاعمي
 وغيره ولكن بهذا ونحوه يظهر مصداق قوله عليه السلام لتبعن سنن من كان
 قبلكم وقد أخبر الله سبحانه عن أهل الكتاب قبلنا بالغلو والكذب
 وتحريف الكلم عن مواضعه وما ذكره المعارض عن عتبة بن غزوان
 فهو مثل الذي قبله كقوله فيه فان لله عبدا لا يراهم ولفظه اذا أضل أحدكم
 شيئا وأراد عونا وهو بارض فلاة ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله اعينوني
 فان لله عبدا لا يراهم قال المعارض فهب ان عباد الله المدعوين حاضرون
 كما قال ولكن اذا لم يره الداعي لم كيف يهتدي الداعي الى طريق وهو
 لم يره فيقال قولك هذا اعتراض منك على ما استدلت به وتقول له قد
 تحصل الهداية بإشارة أو علامة ترفع له أو يكونون من جنس الملائكة الذين
 يلقون في قلب ابن آدم فكل هذا جائز ان صح الاثر فانظر تسميته النداء
 دعاء في ثلاثة مواضع من هذا المحل وهو يقول ان طلب المخلوق من المخلوق
 لا يسمى دعاء بل نداء فتناقض وهذا من سنة الله سبحانه في المبطل انه

يبتاقض واحتج أيضا بما روي ان رجلا جاء الى قبر النبي ﷺ فشكا
اليه الجذب عام الرمادة فراه وهو يأمره أن يأتي عمره فيأمره أن يخرج
فيستسقي بالناس هذا لفظه في اقتضاء الصراط المستقيم قال الشيخ رحمه الله
ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع
قال وليس هو مما نحن فيه قال وهذا القدر اذا وقع يكون كرامة لصاحب
القبر اما انه يدل على حسن حال السائل فلا ففرق بين هذا وهذا انتهى
وهذه الحكاية التي احتج بها هذا هي حجة عليه في قوله ان ما جاز ان يطلب
منه في حياته ﷺ جاز ان يطلب منه بعد موته وهو ﷺ لما كان حيا معهم
على وجه الارض اذا طلبوا منه أن يستسقي لهم يستسقي بنفسه لا يقول
اذهبوا الى فلان ليستسقي لكم وفي هذه الحكاية لم يقل أنا أستسقي لكم
بل أمر عمر يخرج بالناس يستسقي لهم فدل على ان هذا متعذر منه بعد
موته ﷺ والصحابة خرجوا الى الصحراء مع عمر واستسقوا ولم يأتوا
الى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته بل ولا
جاؤا يستسقون عند قبره وقوله ان صاحب هذه الحكاية صحابي أعلم من
سائر عاصء المسلمين فقوله هذا كذب ظاهر وهل يعرف اسمه حتى
يعرف حاله والمدينة في ذلك الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم
والبادية والحاضرة ولا هي صاحب هذه الشكوى ولا يدري من هو فكيف
يزكيه هذه التزكية البالغة وهو لا يعرفه والشيخ يقول ومثل هذا اذا وقع
لا يدل على حسن حال السائل وقوله ان ابن تيمية ذكر هذه الحكاية
وانه قال وهذا حق ومثل هذا يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ والشيخ
ذكر جملة من هذا النوع ثم قال وهذا حق يعني وقوع مثل هذا ثابت
ليس مراده انه صواب كما زعمه هذا والشيخ رحمه الله لما قرر ان الدعاء
عند القبور بدعة يعني قصد لها لاجل دعاء الله عندها وان ذلك منهي عنه

وقرر ان شفاء المقبورين وهو اعلم الحاجات شرك قال ولا يدخل في هذا
ان قوما سمعوا رد السلام عن قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين
وان سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر لبالي الحرة ونحو ذلك
الى أن قال رحمه الله فان الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور واتخاذها
مساجد استهانة بأهلها بل لما يخاف عليهم من الفتنة وانما تكون الفتنة
إذا انعقد سببها فلو لا انه يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهى
الناس عن ذلك وكذلك ما يذكرون من الكرامات وخوارق العادات التي توجد
عند قبور الانبياء والصالحين مثل نزول الانوار والملائكة عندها وتوقى
الشياطين والبهائم لها واندفاع النار عنها وعن جاورها الى أن قال جنس
هذا حق (١) وليس مما نحن فيه الى أن قال وكل هذا لا يقتضى استحباب
الصلاة عندها ولا قصد الدعاء والتسكع عندها لما في قصة العبادات عندها
من المفساد التي علمها الشارع كما تقدم قال فذكرت هذه الامور لانها
مما يشوهم معارضتها لما ذكرنا وليس كذلك واحتج المعتبر بالحكاية
التي ذكرها القاضي عياض في الشفاء ان الامام مالك رحمه الله تناظر مع
أبي جعفر المنصور فقال مالك يا أمير المؤمنين ان الله أدب أقواما فقال
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال ان الذين يغضون
أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وان
حرمته ميتا كحرمته حيا فاشتكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله استقبل
القبلة أم استقبل رسول الله ﷺ قال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة أيك آدم بل استقبله وتشفع به ثم قرأ ولو انهم اذ ظلموا
أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيم
ولما ذكر شيخ الاسلام تقي الدين رحمه تعالى أشياء ذكرها عن السلف

(١) قوله رحمه الله جنس هذا حق يعني وقوعه ثابت ليس مزاده انه صواب

عامة وعن مالك خاصة قال وهذا الذي ذكرنا عن السلف ومالك بين حقيقة الحكاية الماثورة عنه التي ذكرها القاضي عن محمد بن حميد قال ناظر أبو جعفر الخ قال رحمه الله فهذه الحكاية على هذا الوجه اما أن تكون ضعيفة أو مغيرة واما أن تفسر بما يوافق مذهبه اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحاب من أصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص انه لا يقف عنده للدعاء مطلقا الى أن قال واما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية فهو والله أعلم باطل فان هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم ولم يذكر عن أحد منهم انه استحب أن يسأل بعد الموت الاستغفار ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي ذلك وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها بعض المتأخرين من الفقهاء عن أعرابي أنه أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية وأنشد

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطلب من طيهن القاع والا كم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما مثل هذا الامر العظيم الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به واعمل به من غيرهم بل قضاء الله حاجة هذا الاعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون ذلك السبب مشروعا مأمورا به فقد كان رسول الله ﷺ يسأل في حياته المسئلة فيعطىها لا يرد سائلا وتكون المسئلة محرمة في حق السائل حتى قال اني لأعطي أحدهم المسئلة فيخرج بها يتأبطها نارا قالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يأبون الا أن يسألوني ويأني الله لي البخل قال وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحا ولا يكون علما انه

منه عن فيثاب على حسن قصده ويعنى عنه لعنم علمه وهذا باب واسع
 قوله رحمه الله في أول كلامه وهذا الذي ذكرناه عن السلف ومالك يبين
 حقيقة الحكاية المأثورة عنه والكلام الذي أشار إليه قوله قبل ذلك
 وانفق الإمامة على أنه إذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره ويسلم عليه
 وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وأظنه منصوبا عنه وقال أبو حنيفة
 بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه وقال مالك فيما ذكره
 اسمعيل بن اسحق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهما لا يرى أن يقف
 عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضي وقال أيضا في المبسوط
 لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو
 له ولا يكره وعمر فقيل له إن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر
 ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة وأكثر عند القبر فيسامون ويدعون
 ساعة فقال لم يبلغنا هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ولا يصلح آخر هذه
 الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا
 يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده ثم قال الشيخ فقول
 مالك في هذه الحكاية ان كان ثابتا عنه معناه انك اذا استقبلته وصليت
 عليه وسلمت عليه وسألت الله الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الامم
 يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع
 له به يوم القيامة كسؤال الله له الوسيلة وكذلك ما نقل من رواية ابن وهب
 اذا سلم على النبي ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدعو ويسلم
 يعني دعا للنبي ﷺ وصاحبيه فهذا هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند
 زيارة قبور المسلمين وهو الدعاء لم فإنه أحق الناس أن يصلى عليه ويدعى
 له بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه وبهذا تتفق أقوال مالك ويفرق
 بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة انتهى ويشهد
 لذلك ما رواه عبد الرزاق في كتابه عن معمر عن أيوب عن نافع قال

كان ابن عمر اذا قسم من سفر أقي قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك
 يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا ابنه قال معمر وأخبرناه
 عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال معمر وقد كرت ذلك لعبيد الله
 ابن عمر فقال ما نعلم أحدا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر
 وقال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد
 على السبكي محمد بن حيد الرازي هذه الحكاية أعني حكاية أبي جعفر مع
 الامام مالك هو محمد بن حيد الرازي لا العمري كما ظنه السبكي قال وقد
 تكلم في محمد بن حيد هذا غير واحد من الأئمة ونسبه بعضهم إلى البكذب
 قال يعقوب بن شبيب محمد بن حيد الرازي كثير المناكير وقال البخاري
 حديثه فيه نظر وقال النسائي ليس بثقة وقال أبو عباس محمد بن أحمد
 الأزدي سمعت إسحاق بن منصور يقول أشهد على محمد بن حيد وعبيد بن
 اسحق العطار بين يدي الله انهما كذبان وذكر عن جماعة كثيرة نحو
 ذلك فهذا يبين عدم صحة هذه الحكاية والله أعلم وذكر المعترض ماروي
 ان اعرابيا جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد ثلاثة أيام من دفنه ﷺ ورمى
 بنفسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك
 وكان فيما أنزل عليك ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك الآية وقد جئتك
 مستغفرا لذنبي فنودي من القبر غفر لك فيا سبحان الله يعتمد على حكاية
 عن اعرابي بغير اسناد في هذا الامر الذي لو كان مستعجا أو بانرا لفعله
 الصحابة والتابعون ولو كانوا يفعلون شيئا من ذلك لتقل عنهم الا عن اعرابي
 وغيره ممن لا تعرف حاله فلو وجد الناقل لهذه الحكايات شيئا من ذلك عن
 أحد من الصحابة وعلماء التابعين لكان أولى من نقله عمن لا يعرف بصحة
 ولا علم وأيضا فهذه حكايات بغير اسناد معروف بحيث لو يذكر عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أحاديث بغير اسناد معروف رجاله لم يلتفت إليها مع
 انه ليس في هذه الحكاية ونحوها انه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم

أني يغفر له أو أن يدعو الله له قال المعتز ويضد هذا الاثر المتقدم الذي
تلقاه الأئمة بالقبول يعني أثر العتي حتى ابن تيمية مع انه شدد في ذلك
فكذب على ابن تيمية في قوله انه تلقاه بالقبول بل ابن تيمية خطأ من
احتج بحكاية العتي كما قدمنا عنه وما روى من قول حواد بن قارب فمكن
لى شفيعا يوم لادو شفاعته * بمن فتبلا عن سواد بن قارب فهذه بحضرة
النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كما تقدم من حديث أنس وكاستشفاع
الناس به يوم القيامة وقوله أدنى المرسلين وسيلة فهو كذلك صلوات الله
وسلامه عليه لأن الوسيلة هي القرية والتوسل الى الله التقرب اليه بطلقة
واتباع رسوله والافتداء به وهذا هو الوسيلة المأمور بها في قوله سبحانه
وابتغوا اليه الوسيلة ومن الوسيلة دعاؤه لهم صلى الله عليه وسلم وطلبهم ذلك
منه في حياته كما كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقى لهم كقول
عمر اللهم كنا نتوسل اليك بنينا ففسقنا الحديث فهذا من الوسيلة المأمور
بها واحتج المعتز بما روى انه قيل لابن عمر حين خذرت رجله اذكر
أحب الناس اليك وان ابن عباس قاله لأثر فقال أحدهما محمد وقال الآخر
يا محمد وليس له في هذا حجة على طلب الحليط من الإموات والغائبين والقائل
لم يقل ادع أحب الناس اليك والمقول له لم يقل يا محمد أزل خدر رجلى
فان صح الاثر ففعل المعنى في ذلك أنه توسل الى الله بمحبة نبيه وأحدهما
لم يأت بحرف النداء وذكراها أحدهما فلعل هذا مثل قولنا السلام عليك
أيها النبي السلام عليك يا رسول الله وخدر الرجل من نوع الضرر واحتج
بذلك محتج به على جواز طلب كشف الضرر من النبي ﷺ وغيره وقد
قال الله تعالى قل اني لأأملك لكم ضرا ولا رشدا أى لا أقدر على كشف
ضرركم بكم ولا جلب خير اليكم أى ان الله يملك ذلك لأنا وقال قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرر عنكم ولا تحويلا وقد ذكرنا
فيما تقدم ان مفسرى الصحابة والتابعين ذكروا ان الآية نزلت فيمن

يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا والجن والآبة تم كل مدعو من دون
الله فإذا كان الملائكة الذين يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم
لا يملكون كشف الضر عن دعاهم ولا تحويله من حال الى حال فغيرهم
أولى فإذا كان هؤلاء المذكورون لا يستجيبون لمن دعاهم فهم داخلون
تحت قوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم
القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين وغيرها من الآيات فكيف تعارض نصوص القرآن بمثل
ذلك ومضمون دعوى المحتج بذلك ان الشفاء يطلب من النبي ﷺ وكان
في رقية النبي لأمر يرض اشف أنت الشافي لاشفاء الاشفاؤك فالمحتج بهذا
الاثار ما ادعاه معارض لنصوص القرآن والسنة مكذب لله ورسوله فيما
ذكرنا من الآيات والحديث ولو قال من خدرت رجله أعوذ برسول الله
صلى الله عليه وسلم من شر ما أجد صار مستعينا بمخلوق ونص العلماء ان
الاستعاذة لا تجوز بمخلوق والاستعاذة نوع من الدعاء كما مر تقريره فلو قال
من أصابه ما يكره أعوذ بمحمد بما أجد واسئلته كشف ما أجد أو اشكو
اليه ما أجد كان المعنى في جميع هذه العبارات واحدا اذ المعنى أطلب ازالة ذلك
من النبي ﷺ وابن القيم ذكر هذا الاثر فلو كان فيه شبهة تعارض ما كان
يقرره من أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك لبين ذلك ورأيت من جملة
فتاوى للقاضي أبي يعلى منها انه سئل عن يقول يا محمد يا علي فقال هذا
لا يجوز لانهما ميتان وقول المعترض أوليس ابن تيمية قد عذر المتأول
والمقلد وقال انه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره فيقال لهذا انما يورد كلام
الشيخ هذا من يوافق الشيخ على تحريم الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من
الاموات وان ذلك لشرك ثم يقول لعله يغفر للجاهل ونحوه وأما من يتكسر
قول الشيخ في ذلك ويبدع من قال بقوله أو يكفره فلا يتوجه له القول
بعنر المذكورين لانه يقول انهم غير مخطئين بل مأجورين لامتناعهم أمر

الله في قوله وابتغوا اليه الوسيلة في زعم هذا المحرف لكلام الله فلا وجه
 لطلب العذر لهم وما قاله الشيخ رحمه الله في هذا الباب اعني باب التوحيد
 ليس باجتهاد منه لكنه بين ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة واجماع
 العلماء فرجه الله ورضي عنه والشيخ قال وقد يفعل الرجل العمل الذي
 يعتقد صالحا ولا يكون عانا انه منهي عنه فيثاب على حسن قصده ويعفي
 عنه لعدم علمه وهذا باب واسع قال ويغفر للجاهل مالا يغفر لغيره مراده
 في الجملة لافي التفصيل ولهذا قال رحمه الله في شرح العمدة في أثناء كلام
 سبق فكل راد لخبر الله أو أمره فهو كفر دق أو جل لكن يعنى عما قد
 خفيت فيه طرق العلم وكان أمرا يسيرا في الفروع بخلاف ما ظهر أمره
 وكان من دعائم الدين من الاخبار والاوامر وقد قال رحمه الله ان الشرك
 لا يغفر ولو كان أصغر ونقل ذلك عنه تلميذه صاحب الفروع فيه قال ذلك والله
 أعلم لعموم قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به وقال في الرسالة السنية فكل من
 غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يدعو من
 دون الله بأن يقول ياسيدي فلان أغثنى أو اجبرني أو توكلت عليك أو أنا في
 حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل وكذلك
 قال في مسئلة الوسائط ان فاعل ذلك يستتاب فان تاب والا قتل وعموم قول
 الله ان الله لا يغفر أن يشرك به يتناول كل مشرك والفقهاء من جميع المذاهب
 يذكرون في باب حكم المرتد ان من أشرك بالله كفر ويحتجون بهذه الآية
 ويحوها ولم يخرجوا الجاهل من العموم وقال تعالى قل هل نبشكم
 بالاحسرين أعمالا الذين عمل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم
 يحسنون صنعا وقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا
 الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون قال ابن جرير وهذا
 من أبين الأدلة على خطأ من زعم ان الله لا يعذب على معصية ركبها أو
 ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعلم منه لانه لو كان كذلك لم يكن بين فريق

الضلالة التي ضل وهو يحسب أنه مهتد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائها وأحكامها في هذه الآية انتهى وليس كلامنا في هذا الموضوع في هذه المسئلة وإنما الكلام مع هؤلاء الضلال الدعاة إلى الشرك الملبسين على الناس دينهم المقتربين على الله الكذب المضلين للناس بغير علم وذكر المتعترض أن في تاريخ ابن كثير أن الصحابة كان شعارهم في الحرب يأمروا وفي تاريخ آخر أن بعض المسلمين من التابعين أسره الكفار وألقوه في القصور فنادوا يا محمد اه وإن خيبنا رضى الله عنه لما مثل به الكفار قال يا محمد فهذه هي وأشباهها هي حجة هذا المبطل وشيعته وهذه التواريخ وأشباهها فيها الصدق والكذب وأكثرها تحكى بغير اسناد ولو كان ما ذكر في هذه التواريخ ونحوها حديثا عن النبي ﷺ بغير سند متصل صحيح لم يحكم به في فلس والحكاية الأولى أن هذا كان شعارهم في الحرب لم يقل أنهم يستغيثون به في الحرب ولا أنهم يدعونه بل قال هذا شعارهم في بعض غزواتهم حم لا ينصرون وفي بعضها امت امت وما ذكر عن الذين كانوا في زمن التابعين أنهم قالوا يا محمد اه حكاية بغير اسناد عمن لم يعرف ومنهم محمد اه وما حكى أن خبيبا قال يا محمد ان صح فهذا ونحوه يقوله الانسان تو جعا لفرار حبيبه ولا يشك عاقل ان خبيبا واشباهه لا يستغيثون بالنبي ﷺ في تلك الحال وهو لا يسمع كلامهم كيف وقد قال لهم ﷺ استغاثوا به على رجل عنده في المدينة قال انه لا يستغاث في وإنما يستغاث بالله عز وجل ولكن صاحب الباطل يروج على الناس ويلبس عليهم بكل ما يقدر عليه ولولا اتباع الهوى ما عارض بحكاية عن اعرابي أو عن تاريخ لا يعرف غشه من سمينه مع أنه ليس له فيما يحكيه حجة على باطله ومع ذلك يعارض به نصوص القرآن كقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ومن أضل ممن يدعو من دون

الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون قل ادعوا
 الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فاذا كان
 الملائكة المقربون لا يملكون كشف الضر عنكم دعاهم ولا تحويله فبينما
 هم عن ذلك لا يكشف الضر عنكم دعاه ولا تحويله فلو كان يملك شيئا
 من ذلك لطلب أصحابه الذين هم أعلم الناس بالله وبرسوله وبدينه منه مع
 عموم هذه الآيات وغيرها تقناوله كغيره لا يشك في هذا عاقل سليم الفطرة
 فضلا عن العالم المنصف هذا مع قوله سبحانه في حق نبينا خاصة ما ذكر
 في كتابه كقوله قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله الآية وقوله
 قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أى لا أقدر على كشف ضرر نزل بكم
 ولا إيصال نفع اليكم أى لا يملك ذلك الا الله فمن زعم ان غير الله يطلب منه
 ذلك فهو مكذب لله وجاعل له شريكا في ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون
 علوا كبيرا قال المعترض فدل على أن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر
 بمعهود يعنى الاستغاثة به ﷺ وانما عبر بالنداء طردا لقوله الباطل المتناقض
 ان طلب الخلق من الخلق يسمى نداء لادعاء وقد بينا بطلان قوله هذا
 ومخالفته للكتاب والسنة واجماع العلماء والنحويين وان الدعاء يطلب رفع
 المكروه أو دفعه يسمى استغاثة كما يسمى دعاء فلما قال ان نداء النبي ﷺ
 في الشدائد أمر بمعهود يعنى ان يطلب منه ﷺ كشف الشدائد فهذا
 حقيقة الاستغاثة فليسمه المبطل نداء أو طلبا أو توسلا أو تشفعا أو ما شاء
 من الاسماء فان ذلك لا ينفعه ولا يغير الحكم فهذا الضال يزعم ان الاستغاثة
 بالنبي ﷺ في الشدائد بعد موته أمر بمعهود يعنى معروف مشهور معمول
 به عند الصحابة والتابعين فجعل هذا الصحابة والتابعين أشد غلوا في النبي
 ﷺ من المشركين الاولين في الملائكة والانبياء والجن والاصنام لان الله
 سبحانه أخبر في كتابه ان المشركين يخاصون الدعاء لله في حال الشدة

وينسون آلهتهم من الملائكة والانبياء والجن والاصنام قال سبحانه واذا
 مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقال قاداركمبوا في الفلك
 دعوا الله مخلصين له الدين وقال قل ارايتم ان اناكم عذاب الله او اتاكم
 الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف
 ما تدعون اليه ان شاء وتنفسون ما شركون وقال فاذا مس الناس ضر دعوا
 ربهم منيبين اليه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وقول
 هذا الرجل فيما تقدم ان الله امر بالطلب من الاموات والغائبين عام في الاوقات
 والاحوال والاشخاص فيما لله لعقول ضلت حيث لم يتبين لها ضلال هذا
 في غالب كلامه وخاصته في قوله ان الله امر بطلب الحاجات من الاموات
 والغائبين فكما قدمنا اذا كان الله يحب ذلك لامره به في زعم هذا الضال
 فالاولى ملازمة ذلك في الشدة والرخاء فلا يسأل الا هو وحده ولا يطلب
 الحاجات الا منه ولا يرغب الا اليه وحده والمشركون الذين كانوا في زمن النبي
 ﷺ يخلصون الدعاء لله في الشدة وينسون غيره ونصوص القرآن ناطقة
 بذلك وهذا الملحد يقول الاستمرار على الطلب من الاموات والغائبين
 في جميع الحالات اولى لان الله يحب ذلك لانه من الوسيلة التي امر الله بها
 فالمحافظة على ما يحبه الله اولى من الغفلة عما يحبه سبحانه وتعالى فياسبحان
 الله كيف يلبس امر هذا على عاتل سليم التنطرة وما ذكر من قول
 صفية الا يارسول الله كنت رجاءنا بهذه حال من يلى شخصا ويرثيه
 يخاطبه مخاطبة الحاضر وتذكر حاله ﷺ معهم لانه القائم بأمرهم فهو
 أبوهم خاصة وأبو المؤمنين عامة النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم صلوات
 الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين وقد حى النبي ﷺ جناب التوحيد
 الملع حياة حتى قال لا تجعلوا قبري عيدا وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء
 محمد بل ماشاء الله ثم شاء محمد وقال للذي قال له ماشاء الله وشئت أحعلتي

لله ندا فوازن بين قوله لمن قال ما شاء الله وشئت اجعلتنى لله ندا وبين
 قول هذا الضال انه يستغاث به في الشدائد أليس هذا أولى بأن يقال له
 اجعلتنى لله ندا وقد قال تعالى أمن يحجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء
 ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله أى اءله مع الله يفعل هذا والذي
 يقول انه يستغاث بالنبي في الشدائد بقوله ان نداء النبي في الشدائد أمر
 معهود يقول انه يحجب المضطر ويكشف السوء والا كانت الاستغاثة به
 عبثا باطلا والمشركون يعترفون بأنه لا ينجى من الشدائد والضرورات الا
 الله ولهذا يخلصون الدعاء لله في هذه الاحوال لعلمهم انه لا ينجى منها الا
 الله قال الله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين
 قال البيضاوى دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى
 والتقليد بما دغاهم من الخوف الشديد وقال أيضا على قوله فاذا ركبوا في
 الفلك دعوا الله مخلصين له الدين أى كائنين في صورة من أخلص دينهم من
 المؤمنين حيث لا يدكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف
 الشدائد الا هو سبحانه انتهى وقال النبي ﷺ لحصين بن المنذر كم اهل تعبد
 قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذى تعد لرغبتك
 ورهبتك قال الذى في السماء ولما أقبل أبرهة على مكة وهرب أهلها منها
 خوفا منه قام عبد المطلب ونفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه
 على أبرهة وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول يارب لأرجو
 لهم سواك يارب فامنع منهم حاك ان عدو البيت من عاداك فامنعهم أن
 يخرّبوا قراك واخبار الله سبحانه عنهم بالاخلاص في الكرب والشدائد
 كاف فياسبحان الله هؤلاء المشركون الذين نزل القرآن بتكفيرهم واباحة
 دماءهم وأموالهم للمسلمين يعلمون بقلوبهم ويقولون بالسنتهم بأنه لا يكشف
 الشدائد الا الله ويفزعون فيما يهيمهم الى الله وحده ويتركون الوسائط

الذين اخذوهم شفعاء لهم عند الله قال تعالى قل أرأيكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وهذا الرجل الذي يسمى عالما يقول انه يطلب من النبي ﷺ كشف الشدائد وانه يكشفها فاولا انه يقول يكشفها لم يجوز طلب كشفها منه وكان طلب ذلك منه عناء بلا فائدة ثم زعم ان الاستغابة به ﷺ في الشدائد أمر مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين فنسب الى خير القرون ما هم أبعد الناس عنه ويكتفي في ابطال شبهه كلها قول الله تعالى قل لأملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله قل اني لأملك لكم ضرا ولا رشدا وهذا في حال حياته صلى الله عليه وسلم فكيف الحال بعد الموت وهو أيضا لم يقتصر على النبي صلى الله عليه وسلم كما قرر في أوراقه هذه ان الله أمر بطلب الحاجات من الاموات وانهم أحياء في قبورهم مع ما ضم الى ذلك من دعواه اثبات التصرف المطلق للنبي وغيره في يوم القيامة ودعواه علم الغيب للنبي صلى الله عليه وسلم وما تضمنه كلامه من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى العلماء كما بينا بعض ذلك فيما تقدم وكذا ما في كلامه من التناقض والمعارضة الصريحة لكلام الله ورسوله ثم العجب ممن لم يلق كلامه بالقبول ولا رآوا بعض ما فيه من الفضائح التي يسكرها الامي سليم الفطرة ولكن الامر كما قيل باطل وافق هوى والهووى يعمي ويصم ربما لا نزغ فلو بنا بعد اذهابنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وانتهى هذا الجواب بتأخيص فصل من اغاثة المهفان لشمس الدين بن القيم رحمه الله تعالى قال بعد كلام سبق ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر مناقضاه بحيث لا يجتمعان أبدا فهني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون

عندها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء ينون عليها المساجد ويسمونها
 مشاهد مضاهاة لبيوت الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون
 الوقوف على ايقاد القناديل عليها ونهى أن تتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها
 أعيادا ويجمعون أياها كاجتماعهم للعيد أو أكثر وأمر بتسويتها كما روى
 مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال قال علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه ألا أبغضك على ما بغضني عليه رسول الله ﷺ أن لا ادع تمثالا الا
 طمسته ولا قبرا مشرفا الاسويته وفي صحيحه عن ثمامة بن شفي قال كنا
 مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برذونس فتوفي صاحب لنا فامر فضالة
 بقبره فسوى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها
 وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالبيت
 ويعقدون عليها القباب ونهى عن تخصيص القبر وان يقعد عليه وان ينسج
 عليه ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر أنه
 ﷺ نهى أن تخصص القبور وأن يكتب عليها قال الترمذي حديث
 حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن وغيره
 ونهى ان يزداد عليها غير ترابها كما روى أبو داود من حديث جابر أيضا أن
 رسول الله ﷺ نهى ان يخص القبر ويكتب عليه أو يزداد عليه وهؤلاء
 يزيدون عليه سوى التراب الآجر والاحجار والجص الى أن قال فانظر الى
 هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم
 ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصده ولا ريب ان في ذلك من المفاصد
 ما يعجز العد عن حصره فنها تعظيمها الموضع في الافتتان بها من العكوف
 عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدائها وعبادها يرجون المجاورة
 عندها على المجاورة عند البيت الحرام ويرون ساداتها أفضل من خدمة
 المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها ومنها النذر

لها ولسدنها ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها يكشف البلاء وينصر على
 الاعداء ويستنزل غيث السماء وتفرج الكربات وتقضى الحوائج وينصر
 المظلوم ويحار الخائف الى غير ذلك ومنها الدخول في لعنة الله ورسوله
 باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج ومنها للشرك الاكبر الذي يفعل عندها
 ومنها ايذاء أصحابها بما يفعل المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند
 قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة ومنها مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ
 المساجد والسرج عليها ومنها محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ومنها
 امانة السنن واحياء البدع ومنها ان الذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة
 القبور انما هو تذكير الآخرة والاحسان الى المذنبين بالدعاء والتوكل والاستغفار
 له وسؤال العافية له فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء
 المشركون الامور وعكسوا الدين وجعلوا المقصود من الزيارة للشرك بالميت
 ودعاه والدعاء به وسؤاله حوائجهم واستنزالي البركات منه ونصره لهم على
 الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت فاسمع الآن
 زيارة أهل الايمان التي شرعها الله على لسان رسوله ﷺ ثم وازن بينها
 وبين زيارة أهل الشرك التي شرعها لهم الشيطان اختر لنفسك قالت عائشة
 رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ اذا كان ليالي منه يخرج من آخر
 الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا كم ماتوا وعدون
 غدا مؤجلون وأنا ان شاء الله بكم للاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرق
 رواء مسلم في صحيحه وعنها أيضا ان جبريل أتاه فقال ان ربك يأمرك
 أن تأتي أهل البقيع فستغفر لهم قالت قلت كيف أقول يا رسول الله قال
 قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المتقدمين
 والمتأخرين وأنا ان شاء الله بكم للاحقون وفي صحيحه أيضا عن سليمان
 ابن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر

أن يقولوا السلام على أهل الديار وفي لفظ السلام عليكم أهل الديار من
 المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم
 العافية وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة
 القبور فمن زارها فليزر ولا تقولوا هجرا أى حراما رواه الامام أحمد
 والنسائي وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا
 للريقة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه
 الذى شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرا فمن زارها على غير الوجه المشروع
 الذى يحبه الله ورسوله فإن زيارتها غير مأذون فيها ومن أعظم الهجر
 الشرك عندها قولا وفعلًا وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول
 الله ﷺ زوروا القبور فإنها تذكروا الموت وعن على بن أبى طالب قال قال
 رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكروا
 الآخرة رواه أحمد وعن ابن عباس قال مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة
 فأقبل عليهم فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم ونحن
 بالآخر رواه احمد والترمذى وحسنه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ
 كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها القبور فانه تزهد في الدنيا
 وتذكر الآخرة رواه ابن ماجه وروى الامام احمد عن أبى سعيد قال قال
 رسول الله ﷺ كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة
 فهذه الزيارة التى شرعها رسول الله ﷺ لامته وعلمهم اياها هل تجد
 فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجد لها مضادة لما هم عليه من كل
 وجه وما أحسن ما قال الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى لن يصلح آخر
 هذه الامة الا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم
 ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ولقد جرد
 السلف الصالح التوحيد وجوا جانبه حتى كان أحدهم اذا سلم على النبي

ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا قال
 سلمة بن وردان رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره
 الى جدار القبر ثم يدعو ونص على ذلك الأئمة الأربعة انه يستقبل القبلة
 وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره
 الدعاء هو العبادة فحذر السلف الصالح العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها
 الا ما أذن فيه رسول الله ﷺ من السلام على أصحابها والاستغفار لهم
 والرحم عليهم وبالجملة فالميت قدا تقطع عمله فهو محتاج ان يدعو له ويشفع
 له ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا أو استحبابا ما لم يشرع
 مثله في الدعاء للحى قال عوف بن مالك صلى رسول الله ﷺ على جنازة
 حفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه
 وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد وثقه من الخطايا كما
 نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا
 من أهله وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن
 عذاب النار حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ على ذلك
 الميت رواه مسلم وقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته
 على الجنازة اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام وأنت
 قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلايتها جئنا شفعا فاعف له رواه أحمد
 وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 اذا صليت على الميت فأخلصوا له الدعاء وقالت عائشة وأنس عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة
 كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه رواه مسلم وعن ابن عباس قال سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن مسلم يموت فيقوم على جنازته
 أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفيعهم الله فيه رواه مسلم فهذا مقصود

الصلاة على الميت وهو الدعاء والاستغفار والشفاعة فيه ومعلوم أنه في قبره
 أشد حاجة منه على نعشه فإنه حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان سؤل
 الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن فيقول سلوا له التثبيت
 فإنه الآن يسأل فعلم أنه أخرج إلى الدعاء بعد الدفن فإذا كنا على جنازته
 ندعوه لا ندعو به ونشفع له لانتشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى
 فبدل أهل الشرك والبدع قولاً غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه
 نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارته التي شرعها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحساناً إلى الميت وإحساناً إلى الزائر ونذكيراً بالآخرة
 سؤال الميت وإقسام به على الله وتخصيص تلك القعة بالدعاء الذي هو
 مخ العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد وأوقات
 الصلوات ومن المحال أن يكون دعاء الموتي أو الدعاء بهم أو الدعاء عندهم
 مشروعاً وعملاً صالحاً وتصرف منه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلوفا الذين يقولون مالا يقولون ويفعلون
 مالا يؤمرون فلهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين
 وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشراً على
 وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف
 أو منقطع عنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها
 وتمسحوا بها فضلاً عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم
 حوائجهم فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك بل يمكنهم أن
 يأتوا عن الخلوفا التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلما تأخر الزمان
 وطال العهد كان أكثر حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه
 حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه في الأحاديث

المرفوعة قال ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وما عليه أهل الشرك والبدع
اليوم في هذا الباب وغيره علم ان بين السلف وبين هؤلاء الخلف من البعد
أبعد مما بين المشرق والمغرب وانهم على شيء والسلف على شيء كما قيل
سارت مشرقه وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

والامر والله أعظم مما ذكرنا وقد ذكر البخاري في صحيحه عن أم الدرداء
قالت دخل علي أبو الدرداء مغضبا فقلت مالك فقال والله ما أعرف فيهم
من أمر محمد الا أنهم يصلون جميعا وروى مالك في الموطأ عن محمد بن
سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس
الا التداء بالصلاة يعني الصحابة رضي الله عنهم وقال الزهري دخلت على
أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ما أعرف شيئا مما
أدركت الا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت ذكره البخاري وفي لفظ آخر
ما كنت أعرف شيئا على عهد رسول الله ﷺ الا قد أنكرته اليوم وقال
الحسن البصري سأل رجل أبا الدرداء فقال رجلك الله لو أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا هل كان ينكر شيئا مما نحن عليه فغضب
واشتد غضبه فقال وهل كان يعرف شيئا مما أنتم عليه وقال لمبارك بن
فضالة صلى الحسن الجمعة وجلس يبكي فقبل له ما يبكيك يا أبا سعيد فقال
تألموني على البكاء ولو أن رجلا من المهاجرين اطعم من باب مسجدكم
ما عرف شيئا مما كان عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم
عليه الا قبلتكم هذه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(تم الكتاب)

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر